المحراب المضيء

أو

مصبَاح النعْش

مسرحية من ثلاثة فصول

تأليف:

جبرييل مارسل

ترجمة وتقديم:

فــؤاد كــامــل

مراجعة:

محمد إسماعيل محمد

العنوان الأصلي للمسرحية

GABRIEL MARCEL

LA CHAPELLE ARDENTE

Pièce en trois actes

LA TABLE RONDE

8 RUE GARANCIÈRE 6

PARIS

عُرضت هذه المسرحية لأول مرة في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٥ على مسرح «ڤييه كولومبيه» Vieux Colombier، ومثلتها فرقة «مسرح المؤلفين الشبان» Théatre des Ieunes Auteurs وأخرجها جاستون باتي Gaston Baty.

شخصيات المسرحية

أوكتاف فورتييه	Octave Fortier
أندريه فرديه	André Verdet
آلين فورتييه	Alaine Fortier
ميريي برادول	Mireille Pradol
مدام فيرديه	Madame Verdet
لويز	Louise
إيفون كامبران	Ivonne Cambrin
آنا	Anna
جاك الصغير	Jacques Le Petit

الفصل الأول

تجري أحداث المسرحية في عام ١٩٢٠.

حجرة جلوس رحبة، في الريف. أبواب على اليمين وعلى اليسار. في مؤخرة المسرح باب كبير من الزجاج يؤدي إلى الحديقة التي نلمحها.

المنظر الأول

آلين، ثم لويز

آلين ترسل البصر إلى الحديقة، وقد أسندت وجهها إلى راحتها، ثم تسير إلى الجرس بالقرب من المدفأة، وتضغط على الزر. تمر فترة من الوقت.

لويز : (داخلةً) هل ضربتِ الجرس يا سيدتي؟

آلين : (مشيرة إلى الحديقة) ما تلك اللعب التي أراها هناك؟

لويز : (مُحْرَجَةً) ينبغي ألا توبخني سيدتي. فمدام كامبران هي التي طلبت مني أن أصعد معها إلى «الصندرة» للبحث في أشياء مسيو ريمون (حركة من آلين) عما إذا كان فيها بعض اللُّعب لجاكو.

آلين : وهل استأذنت مني؟

لويز : كنت أنا أريد ذلك، غير أن مدام كامبران قالت لي إن المسألة لا تستحق العناء. وحين أتلقى أمرا...

آلين : لا يُعْطي الأوامر هنا أحد سواي، يا لويز.

لويز : اعتقدت أن سيدتي ستوافق... وكان ذلك لابنها الصغير...

آلين : يَحْسُن بك أن تعيدي هذا الصندوق حيث أخذتِه.

لويز : عندما ترى مدام كامبران ذلك... لن يجد جاكو فيما يبدو ما يتسلى به.

آلين : ولماذا لم تأخذ ابنتي ما كان ينبغي أن تأخذه؟

لويز : كان يبدو حينذاك أن هناك فائضا...

آلين : سيذهب فيكتور حالا إلى المدينة، وليس عليه إلا أن يشتري ما هو ضروري.

المنظر الثاني

الشخصان أنفسهما، وميريي

(ميريي تدخل بملابس التنس، وقد أمسكت مضربها بيدها)

آلين : هكذا عدتِ سريعا، يا عزيزتي؟

ميريي : في هذه الساعة، يبدأ ملعب التنس داخلا في ذروة الشمس.

لويز : أتريد الآنسة أن أعدَّ لها ثوبا آخر؟

ميريي : كلا، أشكرك، يا لويز، سأبقى كما أنا.

آلين : إذن، ستفعلين ما قلتُه لك. أليس كذلك؟

(تخرج لويز)

ميريي : (ذاهبة إلى آلين، في حنان) لم أكد أقول لك: صباح الخير يا ماما هل ترويّت مليّا؟

آلين : ماما.. أأنت متأكدة...

ميريي : أجل، دعيني أنادِك: ماما.

آلين : لست أدري.. إني أتساءل...

ميريي : لو استطعتُ أن أكون زوجته، لوجدتِ هذا طبيعيا جدا.

آلين : ربما.

ميريي : يبدو لي الآن، بعد أن لم يعد موجودا، أن كلا منا صارت أقرب إلى الأخرى.

آلين : واصغيراه! (تتعانقان) وعلى كل حال.. ينبغي ألا تناديني على هذا النحو لإرضائي... ولكن في حالة ما إذا أتاك ذلك تلقائيا... أليس كذلك؟ ربما أحس والداك بشيء من الحزن، لو استطاعا أن يتنبآ بذلك!

ميريي : مادمت لم أعرفهما... كلا، كلا، أنت ماما حقا بالنسبة إليّ.

(صمت)

آلين : من كان يلعب التنس؟

ميريي : كالعادة، هنرييت، جان، وإخوانهما... وكان روبير شانتاي هناك أيضا.

آلين : إنه يأتي الآن في جميع الأيام تقريبا؟

ميريي : أجل...

آلين : ودائما بغيض أيضا؟ (حركة غامضة من ميريي) أنا لا أعرف عنه إلا ما أخبرتني به.

ميريي : قد يكون من الحق أنه ليس جذابا جدا... ولكنه يجيد اللعب على كل حال.

آلين : آه؟

ميريي : ولكن حين نصل، فإن له طريقة في النظر إليك من أخمص قدميك إلى رأسك...

آلين : ليس هذا صنيع الرجل المهذب.

ميريي : (مترددة) لا يمكن أن يقال عنه إنه سيئ التربية...

آلين : ومع ذلك، فإن تلك النكتة التي أطلقها عن جان موريل ذلك اليوم، بدت لي قليلة الذوق إلى حد بعيد!

ميريي : يا لذاكرتك! فأنا لا أذكر حتى أنني قصصتها عليك. ولكن من الممكن أن تكوني على صواب. وبالإضافة إلى هذا، إن له أسلوبا في التهكم على خالة موريل العجوز، تلك الخالة الصماء...

آلين : الواقع...

ميريي : أوه! وفضلا عن ذلك، فإنه شديد الإعجاب بنفسه. فاجأته وهو بسبيله إلى النظر إلى وجهه في مرآة للجيب. والحق أن هيئته أفضل من شخصيته، ولكن، مع ذلك.. ألم تريه قط؟

آلين : كلا، لا أظن...

ميريي : إنه من ذلك الطراز الذي لا يعجب كل الناس. شعر فاحم السواد، وعينان في زرقة صافية. وهذا شيء فيه غرابة. (صمت. تحت ضغط هذا الصمت...) وربما كانت نظرته على شيء من القسوة.

المنظر الثالث

الشخصان أنفسهما، وإيفون

إيفون : صباح الخير يا ماما، صباح الخير، يا ميريي، كيف حالك؟ (إلى أمها) أتعرفين – مصادفة – أين وضعوا اللعب التي طلبت إنزالها من «الصندرة» من أجل جاكو؟

آلين : أجل، وقد أخبرت لويز من فوري أن تحملها إلى هناك حيث كانت.

إيفون : ما السبب! لماذا؟ في الواقع هذا شيء لا معنى له، أصبح الصغير شديد التذمر في هذه الأيام الأخيرة، لم نعد نعرف كيف نلهيه.

آلين : سيشتري فيكتور كل ما تريدين من «فيلنوف»، حيث ذهب منذ لحظة.

إيفون : ولماذا يشتري، مادام كل ما هو مطلوب موجودا هنا؟

آلين : إنه سيتقاضى الحساب مني أن.

إيفون : المسألة ليست مسألة الثمن، ولكنني لا أرى من الحكمة عدم الانتفاع بما نملك: أتؤثرين أن تتآكل هذه اللّعب بفعل الرطوبة في «الصندرة» من دون أن تفيد بشيء؟

آلين : أنوي بالفعل التوصية بصنع قطعة من الأثاث، حيث أحفظها مرتبة.

إيفون : ترتيبها! إني واثقة تمام الثقة بأن ميريي تشاطرني رأيي. (حركة نفي من ميريي) إن لك طريقةً في فهمك لاحترام الماضي!

آلين : (بصوت متغير) أرجوك...

إيفون : أنت لا تدينين بدين الماضي، بل بخرافته.

ميريي : إيفون!

آلين : لن أجيب عليك بغير كلمة واحدة: حين يكون المرء قادرا على الذهاب إلى حفل راقص بعد ثلاثة أشهر من موت أخيه، فإنه لا يصبح كفوا لأن...

إيفون : هذا الحفل الراقص مرة أخرى! دائما هذا الحفل الراقص! آه! كم عدد المرات التي استخدمتِه فيها من أجلي! وحين أفكر...

آلين : كفى، من فضلك. فلا جدوى من الإلحاح.

إيفون : هذا أدعى إلى الارتياح.

ميريي : إنك تسيئين إلى والدتك، يا إيفون... (حركة من آلين) وإليّ، إنك تجرحينني أنا أيضا.

إيفون : أجرحك؟

ميريي : (وعيناها مسددتان إلى آلين) ينبغي احترام مثل هذه المشاعر، يا إيفون!

إيفون : العقل السليم لا يَفْقد أبدا حقوقه، ولو كان زوجي هنا..

آلين : أجل، هذه عبارة من عبارات زوجك، في الواقع.

إيفون : أمـا أنا، فأرى من هنـا أننا لن نوفَّق فـي الحياة في هذا البيت، لو لم يكن بسبب أبي...

(تخرج)

المنظر الرابع

آلين ، وميريي

آلين : (في مرارة) إليك!

ميريي : هذا مؤلم أشـد الألم... ألا تعتقدين، مع هذا، أنه كان من الأفضل.. رأيت، أنني أيَّدتُك...

آلين : حتى لو كان ذلك لمجرد الشكل!

ميريي : كلا، غير أن هذه اللعـب، كان من المؤكد أن يعطيها ريمون لابن أخته.

آلين : ريمون لم يعد هنا.

ميريي : هذه اللعب، ليست...

آلين : بلى... ليس في وسعك أن تفهمي.

ميريي : إنها بالنسبة إليّ أنا أيضا، ليست بالطبع سوى... أطلال.

آلين : كلا، أنـت، إنه لـم يكن لك عندمـا كان صغيرا جدا وأنت لا ترينه مثلمـا أراه أنا... حين كانـوا يحملونه إلى مهده، وحـين كان يلعب في الحديقة، وحـين كان يمنحهم، وحين كان يعطيهم... كان يحب العطاء حبا جما.

ميريي : (بصوت خافت) بالضبط، إذن...

آلين : كيف؟

ميريي : لا شيء.

آلين : أما إيفـون.. فكانت تريد أن تنهب كل شـيء، ما من كلمة أخرى غيرها. حتى كتب أخيها المدرسية التي كان الصغير في حاجة إليها. آه! وكأنها تقرأ الغيب!

ميريي : لعل ذلك لتكون لها... ذكريات عن أخيها.

آلين : إنهـا لم تحبه قط. أوه! أجل، كانـت تناديه بأخي الصغير العزيز... تلك الكلمات التي تُلْزِم بشـيء. ولكن، ماذا فعلتْ مـن أجله؟ كلا، كلا، ينبغي أن نقولها: هنا، لم يكن سـوانا نحن الاثنتين...

ميريي : ولكن حماي...

آلين : أوه! ومع ذلك... (تطوف عيناها في شـرود بالمائدة) إليك، الواقع أنني كدت أنسـى أن أريك هذا الذي وضعته جانبا من أجلك.

(تناولها ظرفا)

ميريي : ما هذا؟ (تفض الظرف) أوه! ولكن، كيف لم تطلعيني عليها قبـل ذلك بوقت طويـل؟ «باراميه، ١٩٠٢» إنـه هو، ذلك، الواقف هناك، على ساقين عاريتين؟ كم كان أكبر من سنه! وهناك فوق... إلام كان يشير بإصبعه؟

آلين : (تميل عليها) أريني.

(يدخل أوكتاف في هذه اللحظة)

ميريي : تعال انظر، يا أبي.

آلين : (تسـتعيد الصور الفوتوغرافية في حركة توشـك أن تكون عنيفة) كلا، أعطينيها.

المنظر الخامس

الشخصان أنفسهما، وأوكتاف

أوكتاف : ما هذا؟

آلين : لا أهمية على الإطلاق.

أوكتاف : جئت أستنجد بذاكرتك: ألا تذكرين – على سبيل المصادفة – ماذا صار إليه الملازم كلوني؟ كان ينبغي أن ينقل إلى الكتيبة ١٥٤ في ١٨ فبراير، ولكن ما حدث منذ ذلك الحين؟ يبدو لي أننا علمنا...

آلين : ليست لدي أي فكرة عن هذا الموضوع.

أوكتاف : يجب أن أكتب إلى الأمانات. (إلى ميري) هذا من أجل كتابي، تعرفين؟ إني أتحدث عن الملازم كلوني بمناسبة خندق فرانكفورت.

ميريي : أهكذا تقدمت فعلا؟

آلين : (التي انهمكت في قراءة كتاب) إنه يعمل كثيرا.

أوكتاف : يجب أن ينتهي كل شيء عند بداية السنة الجديدة.

ميريي : لماذا؟

أوكتاف : هذا حدٌ فرضتُه على نفسي، ينبغي دائما أن يضع المرء لنفسه حدا.

ميريي : لا بد أن هذا يمثل عملا هائلا.

أوكتاف : إن الشطر الأعظم منه هو المراسلة مع العائلات.

ميريي : لو أردت أن تعطيني بعض هذه الخطابات لكتابتها... (آلين تسدد بصرها عليها) ماذا هناك، يا أماه؟

آلين : لا شيء، إني مندهشة.

أوكتاف : هؤلاء الناس الذين ينبغي ملاحقتهم ثلاث.. أربع مرات، قبل أن نحصل منهم على ردّ.. أوه! ولكنني أملك المثابرة.. كل أولئك الأشخاص المساكين الذين كانوا في الكتيبة ٤٢٧، إنهم أبنائي إلى حدٍّ ما، وينبغي أن أعرف ما صاروا إليه جميعا ماداموا قد بقوا على قيد الحياة. أولا، كتيبة على هذا النحو، تخيّلي، في ثلاث سنوات، لا وصمة، لا ضعف... ولو لم تُحَلّ غداة وقوع الأعمال العدوانية، لما قدمت استقالتي.

ميريي: : أصحيح هذا؟

أوكتاف : بالتأكيد!

آلين : يبدو أنهم أحضروا إليك ربطة من مازيريه.

أوكتاف : (في حيوية) من صاحب المطبعة، أين هي؟

آلين : (تشير إلى اليمين) أعتقد أنهم وضعوها هناك، على جنب.

أوكتاف : (خارجا) لماذا لم تخبريني بذلك على الفور!

(يخرج)

آلين : يا عزيزتي، إذا أردت ألا تسببي لي ألما عميقا، فلا تجددي اقتراحك.

ميريي : أي اقتراح؟

آلين : عن موضوع الخطابات التي تطوعتِ بكتابتها.

ميريي : اسمعي – يا ماما – لو كان في ذلك خدمة له...

آلين : (في شيء من القسوة) أولا، هذه المكاتبات تشغله.

ميريي : ومع ذلك...

آلين : (ذاهبة إليها) ثم، إن مجرد فكرة هذا الكتاب ترعبني.

ميريي : ولكن...

آلين : وكنت أعتقد أنك تشاطرينني شعوري، نحن على اتفاق، بوجه عام... قلعة المادلين، وخندق فرانكفورت (تنتحب) العلامة الرقم ١٣٦، يا ميريي، العلامة الرقم ١٣٦.. إنه يريد أن يخلِّد ذكرى تلك المذابح، تلك المجازر.. وتساعدينه على ذلك؟... كلا، يا صغيرتي، لن تفعلي ذلك!

ميريي : (مذهولة) سأفكر مليًّا، أنا...

آلين : (تثوب إلى هدوئها) في هذه الحالة، يهدأ بالي.

أوكتاف : (يدخل ممسكا بمجلدين في يده. بصوت قليل الثقة) انظري.. إنه ليس الإخراج الذي كنت أتمناه تماما، ولكنهم لا يصنعون ما يريده المرء. على كل حال، أنْبِئاني برأيكما فيهما.

(يمد يده في ارتباك بأحد المجلدين إلى ميريي، وبالآخر إلى آلين)

ميريي : (بعد أن تأمّلتْه) أوه! كم هو جيد! كم هو ممتا... (تلتفت في هذه اللحظة إلى آلين التي تصلبت في نوع من اليأس المتشنج، فتنقطع عن الكلام)

أوكتاف : انظري، هنا أولا صورته الفوتوغرافية، صورته عند دوبان، وفي الصورة الأخرى تبدو هيئته كطفل. وهناك، نصوص الاستشهادات، نصوصي أولا، حين أوردها بترتيب كتيبتي، ثم بترتيب فردان... ثم الأخيرة. وهناك أيضا رسائله، تلك التي كتبها إليَّ (نشعر بأن وجود زوجته يربكه. يرغم نفسه على الكلام، غير أن صوته يخفت شيئا فشيئا) هناك منها خمسٌ وستون – على ما أعتقد – كلا، أربع وستون... فليكن، ما علينا، سترين... الكلمات الصغيرة لم أُعِد طبعها... فلا أهمية لها... ولن يعرض هذا الكتيب للبيع...

ميريي : أجل... بالطبع.

أوكتاف : إنه من أجل الأصدقاء فقط.. من أجل أولئك الذين عرفوه.. وأنت، يا آلين، ما رأيك في هذا الموضوع؟

آلين : لا شيء، لا شيء على الإطلاق.

أوكتاف : كيف لا شيء؟

آلين : (متمالكةً لنفسها) الورق جيد... وحروف المطبعة مقروءة.. جدا.

أوكتاف : هذا واضح! لم يبق إلا أن تكون تلك الحروف غير مقروءة!

آلين : إنها حسنة تماما.

أوكتاف : إذن فأنت.. مسرورة؟

(لا تجيب عليه، وتظل خلال بقية المنظر كأنها مستغرقة في تأمل حزين)

ميريي : (لكي تقول أي شيء فقط) ما كان أقل توقعنا لشيء كهذا! أن نرى هذه الخطابات منشورة!

أوكتاف : أي نعم.

ميريي: : (بصوت خفيض) فكرة حسنة جدا.

أوكتاف : (مرهفا سمعه) كيف؟ (ميريي لا تجيب) أعطني نسختك لكي أبعث بها إلى التجليد.

ميريي : شكرا.

أوكتاف : (بصوت هامس، مشيرا إلى آلين) المسألة غاية في الصعوبة، يظن المرء أنه يبعث السرور إلى نفسها، ثم...

ميريي : (بصوت هامس) ليست لك الطريقة نفسها في معاناة الشقاء.

المنظر السادس

الأشخاص أنفسهم، وإيفون

إيفون : سنذهب للجلوس تحت شجرة الأرز مع «النونو»، والطفل الصغير، فإذا أراد أحد أن يأتي إلينا... أنت يا بابا، ألم تقل حتى صباح الخير لحفيدك؟

أوكتاف : ما هذا؟ لقد «هشكته» فوق ركبتي طوال ربع ساعة!

إيفون : وأنت، يا ميريي؟ أتعلمين أنه يطلبك!

آلين : اذهبي يا عزيزتي، فستعودين لاصطحابي بعد لحظات إلى الأم نويل، فقد وعدتها أن أحضر لها سلة من الكرز. وسيسرها أن تراك، تلك المرأة المسكينة.

أوكتاف : أخبريها أنني كتبت للمرة الثانية عن موضوع الميدالية العسكرية لابنها.

آلين : آه! حقا؟

ميريي : سنقول لها ذلك.

إيفون : (توجه الكلام في أثناء خروجها إلى ميريي) لقد قُتِل نويل الصغير، أليس كذلك؟.. وفضلا عن ذلك، لكي تذهب ماما إلى هناك...

(تخرج مع ميريي من الباب الزجاجي)

المنظر السابع

أوكتاف، وآلين

(صمت. آلين تتصفح الكتيب، بيدين مرتجفتين. أوكتاف ينظر إليها بنوع من اليأس. وفجأة، تهب آلين واقفة)

آلين : ماذا يعني هذا؟

أوكتاف : (مقتربا) ماذا؟

آلين : تلك المحادثة التي يلمّح فيما إلى... إنك لم تقرأ لي قط هذا الخطاب.

أوكتاف : أرني... (تناوله آلين الكتيّب، وتسدد إليه بصرها) آه! أجل...

(في شيء من الارتباك) عم تسألينني، بالضبط؟

آلين : لماذا يقول: «سأندم دائما على أنني لم أتبع نصيحتك» ؟.. أي نصيحة؟

أوكتاف : لكن..

آلين : «أشكرك على أنك هديتني إلى الطريق». والتاريخ... (بحدة) لقد أشرت عليه بالتطوع قبل موعد استدعائه للجندية!

أوكتاف : تذكَّري حالته النفسية: كان مترددا، معذبا، وكان ذلك عندما أذنت له في ١٦ ديسمبر. أقبل عليّ ذات مساء قائلا – في هذا المكان بالضبط –: «بابا، ماذا تفعل، لو كنت مكاني؟»

آلين : إذن، فقد كانت كلمة منك تكفي لاستبقائه؟

أوكتاف : آلين!

آلين : كنت تُمّسك حياته بين يديك في تلك اللحظة؟

أوكتاف : طلب مني أن أحدِّثَه بصراحة، حديث رجل لرجل.

آلين : رجل لرجل! انظر إليه..

(تشير إلى صورة ريمون الفوتوغرافية الموضوعة على المائدة)

أوكتاف : لم يكن من حقي أن أخيِّب أمله.

آلين : لقد اسأت استغلال مكانتك، وضعفه، والخوف من أن يسقط في نظرك...

أوكتاف : أفْهمّته أنه حر تمام الحرية.

آلين : يا له من نفاق!

أوكتاف : أقسم لك على أنني لم أمارس أقلّ ضغط عليه.

آلين : كانت الحرب تفزعه، ولـم يكن من الصعب أن تحصل منه على وعد بألا يشترك فيها.

أوكتاف : وأنت لم تتجحي في هذا.

آلين : بسبب خطئك.. أوه! ثم إنني لم أكن أجد نفسي في تلك اللحظة - وكأنما كنت أعيش في كابوس - (صمت) كان يعتمد عليك في أن تثني عزمه عن الرحيل.

أو كتاف : إنك تدنسين ذكراه، إنك تجعلين منه جبانا.

آلين : طفل مسكين كان يرى رؤية صافية.

أوكتاف : ألـم تقولي إن الحـرب كانت تفزعه؟ ومـن ذا الذي أحب الحرب؟

آلين : أنت... ألم تقل ذلك اليوم للدكتور موريل: «أجمل سنوات عمرنا...».

أوكتاف : لا علاقة إطلاقا بين هذا وذاك. لم تكن الحرب هي الجميلة، وإنما الخطر، الصداقة في الخطر. لا تستطيع المرأة أن تفهم.

آلين : وهذا خير لها! ثم، أكان من الممكن أن تكتب مذكراتك لو لم تحب الحرب؟

أوكتاف : إنها ليست مذكراتي. بل هي حوليات كتيبتي، وهذا على سبيل الوفاء.

آلين : أما الآخرون، فإنني أرى جيدا ما هم عليه، إنهم لا يتحدثون عنها أبدا، وكأنهم يخجلون منها... أما أنت.. فإنك لا تستطيع حتى أن تترك الأموات في سلام.

أوكتاف : من واجبي أن أخلّد ذكرى صمودهم، وبطولتهم، و...

آلين : كلمات. وبسبب هذه الكلمات يعود كل شيء ليبدأ من جديد... إلى أن يفنى آخر إنسان ولا يبقى أحد.

أوكتاف : كلمات؟ أنتِ تُنْكرين ابنك.

آلين : أما أنت، فقد...

(تتوقف عن الكلام)

أوكتاف : انطقيها.

آلين : كلا.

أوكتاف : هيا، أعرف ما تفكرين فيه.

آلين : آه!

أوكتاف : أهي غلطتي لأنه لم يَعُد.. أتتهمينني بأنني لم أسهر عليه سهرا كافيا.. آه! لماذا ذهب إلى الكتيبة الرقم ٤٢٧؟

آلين : كأنك لم تجتذبه إليها!

أوكتاف : لقد طَلَب مني أن أَقْبَلَه فيها، وهو الذي اختار المجيء إليها.

آلين : إنه لم يختر شيئا، لقد ترك نفسه ليصنعوا به ما يشاؤون، ولم يدافع عن نفسه... وهذا أشبه باليوم الذي... (نشعر بأن الشهقات المتصلة تهزها هزا) إن الرقم ١٣٦...

أوكتاف : تلك المهمة، لقد تضرع حتى يعهدوا بها إليه.

آلين : لـم يكن يستطيع أن يفعل خلاف ذلك... هذه مسألة متشابكة... كلا، كلا يا أوكتاف، أعرف ما تريد أن تقول، ولكن لا أريد.. أتسمعني.. لا أريد.

أوكتاف : (وقد علاه شحوب شديد) إذن، فأنا، لم أحبه؟

آلين : أقل من مكانتك.

أوكتاف : وأنا لم أتعذب؟

آلين : عذاب رجل. مجرد شارة... يمكن أن توضع في عروة السترة.. أوه! لا تنكر ذلك. اطلعت على بعض الخطابات التي كتبتَها... بعد ذلك... وكلمة فخر تتكرر في كل سطر: «إنني فخور...
نحن فخورون لأننا وهبنا فرنسا...».

أوكتاف : (بقوة) هذه هي الحقيقة.

آلين : أجل، حسن، وهذا دليل على أنني محقة. وحين يتعذب المرء

كما تعذبتُ أنا... لا يشـعر بمثل هذه المشاعر الجميلة، ولا يبقى له ما يمكن أن يعطيه، شنيع هو العذاب، ولا يمكن أن يوضع في أبيات من الشعر المقفّى الموزون.

أوكتاف : كيف؟

آلين : عثـرت على مسـوَّدة مبعثرة، وقاموسـك للقوافي التي لم ترتبها.

أوكتاف : (بصوت يهتز بالانفعال) أصغي إليّ يا آلين، لسـت ممثلا، إني يائـس أنا أيضا، ولا أسـمح لك، أتسـمعينني.. وإذا خطرت لي فكرة نظم بعض الأشعار التي أريدها أن تُحْفر على قبره...

آلين : (بصوت مكتوم) كلا، كلا.

أوكتاف : وإذا كنا قد أحضرنا ابننا إلى هذا المكان، فذلك لكي نمجد ذكـراه التي أعتبرها مقدسـة، على حين تُصرين أنت على تحقيرهـا. وإذا كان يرانا، أنت وأنـا، وإني لعلى يقين من ذلك...

آلين : اسكت.

أوكتاف : تسـتطيعين أن تقولـي لنفسـك.. تسـتطيعين أن تقولي لنفسـك.. (يقرع أندريه الباب الزجاجي في هذه اللحظة) إيه! ولكن، هذا أندريه.. ادخل، يا صغيري.

المنظر الثامن

الشخصان أنفسهما، وأندريه

أندريه : صباح الخير يا عمي أوكتاف، صباح الخير يا خالتي.

أوكتاف : كنت أنوي المرور على «القومسيون» للحصول على أنباء عن الاستشارة الطبية.

آلين : هذا صحيح، كان ذلك أمس.

أندريه : يبدو أنه مرض عصبي، بكل تأكيد.

أوكتاف : وماذا عن تلك الاختناقات؟

أندريه : لا خطورة منها.

ألين : والقلب؟

أندريه : يـكاد يكون طبيعيـا. ولكنـه أعطاني مع ذلك شـيئا من الديجيتال.

أوكتاف : مع ذلك..

أندريه : هذا من قبيل زيادة الحـرص. وهو يعزو ذلك إلى الإرهاق الذي عانيته في العام الماضـي. ومجمل القول: لم يبق إلا انتظار ما سوف يحدث.

أوكتاف : رائع، هذا شيء عظيم.. ولا بد أن والدتك مسرورة جدا.

أندريه : أعترف بأن المسـألة بالنسـبة إليّ أيضا أشـبه بالحكاية المعروفة عن اقتطاع جزء من الوزن. وقد يبذل المرء أقصى جهده، وينتهي به الأمر إلى إيذاء نفسه.

آلين : هذا واضح.

أندريه : هل ميريي... هنا؟

أوكتاف : إنها في الحديقة مع إيفون والطفل.

أندريه : لقد لمحتها من بعيد في أثناء مروري على ملعب التنس. إنها تذهب إلى هناك كل يوم تقريبا، أليس كذلك؟

أوكتاف : إنها لا تملك هاهنا من وسائل التسلية إلا أقل القليل..

آلين : (في حيوية) هل سـمعتَها تشـكو مرةً من هـذا؟ إن لديها موارد كافية في نفسـها، ولكنها تحرص، ومعها حق، على أن تمارس بانتظام قليلا من الرياضة.

أندريه : لقد كانت مع ذلك الـ «روبير شـانتاي»... يبدو أنه شـديد المواظبة على التنس، هذا الصيف. لعل في نيته أن يسـتقر هنا نهائيا، وأن يتزوج كذلك.

أوكتاف : آه! صحيح؟

أندريه : ربما كانت واحدة من بنات «موريل» يكون قد رآها...

أوكتاف : سيدهشني ذلك، فإنهن لا يملكن غير «دوطات» تافهة، ولا بد أن له مطالبَ ضخمة.

أندريه : (منزعجا) لا يوجد هاهنا من الوارثات عدد وفير..

آلين : وفقا لما قيل لي عنه، تبدو لي شخصيته قليلة الأهمية، وإني لمندهشة من أن أفعاله وحركاته تشغلكم إلى هذا الحد.

أندريه : ولكن، يا خالتي...

المنظر التاسع

الأشخاص أنفسهم، وميريي

ميريي : أهذا أنت! صباح الخير يا أندريه...

أوكتاف : إنه يحمل إلينا أنباء طيبة عن استشارة الأمس.

ميريي : (بلطف، ولكن من دون حرارة) آه! الحمد لله.

(يدير أندريه عينيه فيلمح المجلد الذي تركته ميريي على المائدة، يتناوله)

أندريه : آه! لم أكن أعلم...

أوكتاف : لقد تسلمتهما منذ لحظة.

أندريه : لم تخبرني بأنك تزمع هذا النشر.

آلين : إنها مفاجأة أراد عمك أن يباغتنا بها.

(تنهض)

أندريه : وهل تعتقد أن ريمون؟... أجل، من الواضح..

آلين : ماذا تريد أن تقول؟

أندريه : كلا، لا شيء... إني أتساءل فقط...

آلين : أكمِل.

أندريه : لم تعد لهذا، الآن، أي أهمية.

آلين : هل أفْضَى إليك ريمون بشيء؟

ميريي : (تخاطب أندريه بصوت خافت وبنبرة متوسلة) ما جدوى ذلك، الآن؟

أندريه : لم يقل لي شيئا محددا، ولكن، أتَذَكّر أن طبع هذه الرسائل، ومذكّرات الحرب...

آلين : ماذا إذن؟

أندريه : إنه كان يجد هذا كله على قليل من...

آلين : من الفسق؟

أندريه : فليكن من قلة الحياء.

آلين : (إلى زوجها) أرأيت!...

(يهز أوكتاف كتفيه في حركة تشنجية وكأنه يريد أن يقول لها: ماذا تريدينني أن أصنع؟

تخرج هي وتغلق الباب الأيمن خلفها في رفق)

المنظر العاشر

ميريي، وأوكتاف، وأندريه

(يظل أوكتاف صامتا لحظة، ويبدو أنه ينتظر من ميريي كلمة لا تأتي، فلا يلبث أن يتحدث بصوت لا حياة فيه)

أوكتاف : أنا سأذهب لرؤية جاكو، لم يبق إلا الأطفال.

أندريه : (مُقْبِلا نحوه) عمي، إني آسف...

(يخرج أوكتاف من دون أن يجيب)

ميريي : (في مرارة) لماذا قلتَ هذا؟

أندريه : لـم أكن أريد... ولكنها ألحّت... لا أهمية لذلك. لو ارتكب خطأ...

ميريي : أتعتقد؟

أندريه : لم يكن هذا ضده، ولم يكن ضد أحد، وحتى لو ارتكب خطأً...

ميريي : لن تغفرها له ماما.

أندريه : تقولـين الآن ماما عن خالتي؟ (صمت) أؤكد لك أن هذا لا أهمية له.. (وكأنما أصابه تشنج) المهم، أن تقولي لي... هل هو جذاب في نظرك؟

ميريي : لا أدري عمن تتحدث؟

أندريه : هـذا الشاب الذي تلعبين معه كل الأيام تقريبا... هـذا الـ «شانتاي»!

ميريي : إنه لاعب ماهر للتنس.

أندريه : إنــه يأتي من أجلك يا ميريي. أنـت تعجبينه، وفي يوم من الأيام، سيطلب منك أن تكوني زوجته.

ميريي : لا شـك في أن معلوماته خاطئة إذن! فما من أحد في هذا البلـد لا يعلـم أن كل هذه الأمور قد انتهت بالنسـبة إليّ، وأنها لن تكون – إلى الأبد – موضوعا للبحث.

أندريه : (متواضعا وسعيدا) عفوا.

ميريي : حين يعرف المرء ما عرفتُه... وحين يأمل تلك السعادة...

أندريه : (بصوت خافت) أنا أعلم.

ميريي : (في حماسـة) أنت لا تعرف... ما من إنسـان واحد في هذا العالم – أتسمعني – لا يبدو تافها، حقيرا... وهذا الفتى الذي تتحـدث عنه، والـذي هو أفضل كثيرا مما يتـ... (تحتد من جديد) ثم، بأيِّ حق توجّه إليّ هذا السؤال؟ من الذي سمح لك بأن تسـتجوبني؟ (تذهب إلى المدفأة، وتستند إليها بمرفقيها، وقد وضعت رأسها بين يديها، وأدارت ظهرها لأندريه)

أندريه : (مقتربا) إني أتعذّب... وما أعانيه ليس خليقا بالاحتقار.. إن من تبكينه، كان صديقـي... وكنتُ معجبا به. وحدادك عليه هـو حدادي أنا أيضا.. (بصـوت خافت) أنا لا أغار منه.. ولكن فكرة أن شخصا آخر... هذا ما لا أحتمله، هذا ما لا أحتمله!

ميريي : (تسـتدير نصف اسـتدارة إليه، وتخاطبه بقسوة) هـذا الـ «شـانتاي» خاض غمار القتال، وجُـرِح مرتين... (يلقي عليها أندريه نظـرة مفعمةً بالعتـاب ويبتعد، وقد اهتزت كتفاه بنـوع من الرِعّدة) إن ما سـأقوله غاية في العنف.. فمعذرة.. ولكن إذا كنت تحس الجو الذي أعيش فيه هنا.. ثمة لحظات يبدو لي فيها أنني أختنق.

أندريه : كيف؟ ومع ذلك فكل الناس يحبونكِ هنا، كل الناس قد تبنَّوك.

ميريي : (مستغرقة في التفكير) أجل.

أندريه : وخالتي لا تستطيع الاستغناء عنك..

ميريي : وأنا أيضا لا أستطيع أن أكون في غنى عنها.

أندريه : إذن؟

ميريي : عندما نكون لازمين للآخرين على هذا النحو.. لست أدري، لا نكون بعد أحرارا... إننا لا.. إننا لا نتنفس بعد (في فزع) آه! مـاذا قلت؟ كلا، ليس الأمر على هذا النحو، ليس الأمر على هذا النحو... إنك لا تفهم..

المنظر الحادي عشر

الشخصان أنفسهما، وآلين

(آلين تقف لحظة على العتبة، وتنظر إليها)

ميريي : (مقبلـة عليها) ألا ينبغي أن نذهب معـا إلى الأم نويل، يا ماما؟

آلين : يجب أن يُحْضِروا إلى هنا الكَرَز الذي وعدتُها به. (صمت)

أندريه : وفضلا عن ذلك، الوقت متأخر، ولا بد أن أترككم، كما أوصاني الطبيب ألا أسرع في المشي.

آلين : أجل، بالطبع.

أندريه : (إلى ميريي) ألن تأتي لرؤية والدتي في يوم من الأيام، يا ميريي؟

ميريي : ولكن، بلى... بكل تأكيد.

أندريه : ألا يمكن أن نتفق على موعد؟

ميريي : (مسدِّدة عينيها إلى آلين) ربما.

آلين : يا عزيزتي، عليك أنت أن تقرري بنفسك.

ميريي : قل لها إنني سأكتب إليها.

أندريه : لا تتأخري كثيرا... (مخاطبا آلين) إلى اللقاء، يا خالتي.

المنظر الثاني عشر

ميريي، وآلين

آلين : لماذا كانت هيئته حزينة عندما دخلت؟

ميريي : لكن...

آلين : إذا كان الطبيب قد طَمْأنه حقا...

ميريي : ربما كانت لديه هموم أخرى.

آلين : كان دائما شديد الانشغال بصحته، وليس هذا بجريمة، إنه فتى هزيل جدا... وإن كان يغالي أحيانا في الاحتياطات إلى حد ما. وكان ريمون يمازحه في كثير من الأحيان حول هذا الموضوع.

ميريي : ومع ذلك يمكن أن تكون له موضوعات أخرى... للقلق. (قالت ذلك بصوت مرتعش قليلا، من دون أن تنظر إلى آلين. صمت)

آلين : مادمتِ قد تمسكتِ يا عزيزتي من تلقاء نفسك، بأن تقولي لي «ماما» فأنا – كما تعرفين – لم أكن أفكر في ذلك، بل ربما حتى لم أكن أتمناه.

ميريي : وبعد؟

آلين : دعيني أكمل، من فضلك، أؤكد لك أن المسألة خطيرة. إذ ينبغي ألا تكون مجرد كلمة رقيقة، ولكن كاذبة، بل ينبغي أن تكون حقيقة قلبك.

ميريي : إنها الحقيقة.

آلين : ضعي ثقتَك فيّ.

ميريي : (في شيء من الجدة) ولكنك تعلمين أنني لا أستطيع أن أفعل شيئا سوى أن أثق بك.. ماداموا قد ماتوا جميعا، ولم يعد لي سواك... وفضلا عن ذلك، لست من القوة بحيث أحتفظ بأسرار.

آلين : ومن الذي تحدث عن أسرار؟ غير أن قيام أي ظل من الالتباس بيننا يُفْسِد كل شيء، وهذا ما تشعرين به جيدا. إن الحداد الذي جَمَع بيننا يساوي على الأقل...

ميريي : ولماذا تقولين هذا القول؟

آلين : لن أقول يا صغيرتي إن علاقتنا الحميمة هي علة وجودي، ولكنها ما جعلتني أواصل البقاء. وأعتقد أنني لم أكن أستطيع ذلك بدونها. ولهذا ينبغي ألا يعرِّضها شيء للخطر.

ميريي : ولكن، لا وجود لأي خطر.

آلين : من الممكن أن يكون ثمة خطر يا عزيزتي – على العكس – إن لم نأخذ حذْرنا. (حركة من ميريي) افهميني، في سنك لا يستطيع، بل ينبغي ألا يضمن الإنسان نفسه، أنت

تسمعينني، لا ينبغي حدوث ذلك. فالمرء يتغير، هذا فظيع، ولكن الأمر على هذا النحو. فقد ينمو فيك...

ميريي : لا تُكمّلي، فأنا أخمِّن، ولكن، لا جدوى من هذا وكفى، بل... أخيرا، تذكرين جيدا ما قلته لك حين كنا هناك، عندما أطلعونا على تلك الحقول الخراب، على تلك السفوح التي لن ينبت فيها شيء أبدا.. (بصوت مختنق) أما أنا فسيان عندي.

آلين : من الخطر توكيد ذلك، بل ربما كان على قليل من.. التصنع.

ميريي : أنت تجرحينني.

آلين : (في رفق) لست شجاعة جدا. (حركة من ميريي) وعلى كل حال، هناك التزام في وسعي أن أتعهد به نحوك: أيا كانت الأسرار التي يمكن أن تُفْضي بها إليّ، أؤكد لك أنها لن تغير شيئا من...

ميريي : (في عنف) أتعتقدين ذلك، ولكنك تخدعين نفسك.. ليس في وسعك أن تتحمليها، وكيف يمكن ذلك؟ ولا أنا أيضا، لا أستطيع...

آلين : الثقة – كما أتصورها – لا يمكن إلا أن تكون مطلقة وحين أعطيها، لا أستردها... وإذا قررتِ أن تَصْنَعي حياتك من جديد، ففي جوهرها، ستكون داخل النظام...

ميريي : ماما!

آلين : لا يمكن أن يكون ذلك مع شخص حقير الشأن.. كلا.. بعد كل ما حدث... أعلم أن هناك حدا أخلاقيا أدنى ليس في وسعك أن تَبلُغيه. لن يكون مستمتعا بالحياة – إن صح هذا التعبير – لا أدري، مثل ذلك الـ «شانتاي» الذي لن يستطيع أبدا...

ميريي : (في لهجة غير متميزة) ولماذا شانتاي؟

المشهد الثالث عشر

الشخصان أنفسهما، وأوكتاف، وإيفون

(الأخيران يدخلان من باب الحديقة، أوكتاف يحمل على ظهره الصغير جاك الذي يخبط بيديه وهو يطلق صيحاته)

أوكتاف : (متهيئا لإنزال الطفل) هنا، يا عزيزي، هذا يكفي.

الصغير جاك : مرةً أخرى، يا جدي، مرة أخرى!

أوكتاف : دورةً أخرى حول حوض الزهور؟ واحدة فقط، هيًّا...

آلين : إذا أصبح هذا الطفل شيئا لا يطاق، فستكون غلطتك بالتأكيد.

إيفون : من حسن الحظ أنك موجودة لكي تُحْدِثي التوازن!

أوكتاف : (واضعا الصغير على الأرض) فلتكن هذه الدورة غدا.

ميريي : (ذاهبةً إلى الطفل) صباح الخير، يا جاكو! (تلاطفه، ثم حين تشعر بنظرة آلين وفكرها مركّزين عليها، تبتعد فجأة. تحدِّث إيفون) يبدو أنه قد غطس من فوره في الماء مرة أخرى؟

إيفون : كما قلت ذلك منذ لحظة، ماداموا لم يقرروا تفريغ البِركة...

أوكتاف : (إلى إيفون) إذن، فسأطلعك على هذا.

(يخرج من اليمين)

إيفون : ولما كان من المبادئ المتبعة ألا مساس بشيء هنا..

آلين : أَكْمِلي.

إيفون : إنـي أتّخِذُك حَكَما يا ميريي، في نهاية الأمر. يوجد هاهنا أثاث لا ضرورة له، ولكننا نحتاج إليه في المنزل.. أنا لا

أتحدث عن أثاث له قيمة... (يعود أوكتاف في هذه اللحظة وقد علاه شحوب شديد)

أوكتاف : (إلى آلين بصوت خافت) أأنت التي نزعتِ تلك اللوحات؟

آلين : أجل.

(في هذه اللحظة، يقرع راعي الحديقة الباب الزجاجي)

أوكتاف : (يتمالك نفسه بصعوبة) أمن الممكن أن نعرف أين وضعتِها؟

آلين : فيما بعد، من فضلك.

أوكتاف : أنت لم تتلفيها على كل حال؟

آلين : كل ما فعلته هو أنني وضعتها جانبا. أهذا هو الكرز يا ألكسيس؟ كنا في انتظارها منذ نصف ساعة (تتناول السلة) ما هذه الأزهار؟ امسكي، يبدو أنها لك يا ميريي.

(تمد يدها بالأزهار إلى ميريي)

ميريي : كيف؟

آلين : راعي حديقة مسيو شانتاي هو الذي أحضرها.

إيفون : إيه! ولكن، خبرينا، يا ميريي!

أوكتاف : مَن شانتاي؟

ميريي : كنت من الحماقة بحيث أُعجبت بتلك الزهور القرمزية التي يراها المرء من ملعب التنس.

آلين : سأضع قبعتي، الحقي بنا أمام المنزل، من فضلك؟

إيفون : (تأخذ الطفل من يده وتخرج مع أمها) ماما، ألا توجد وسيلة لكي يتناول الطفل غداءه في الساعة الحادية عشرة والنصف بالضبط؟

(تضيع بقية الكلمات)

المنظر الرابع عشر

ميريي، وأوكتاف

أوكتاف : (يتمالك نفسه في عناء) زوجتي قادرة على إحراق المجلدات.. (ينتظر احتجاجا لا يأتي على الفور)

ميريي : (التي مازالت تمسك بالزهور وقد شرد فكرُها) كلا... كلا... بكل تأكيد.

أوكتاف : أتعتقدين ذلك؟ (مندفعا) يا صغيرتي، لو كنت تعرفين.. (يتوقف) ولكن، ابقيّ هنا، مع زهورك سأقول لهم أن يضعوها في الآنية.

ميريي : (بغتة، وبضرب من الانفعال) كلا، كلا، بل ينبغي رَمْيُها.

* * *

الفصل الثاني

الديكور نفسه. بعد انقضاء عشرة أيام.

المنظر الأول

ميريي، وأوكتاف

(ميريي تهم بالكتابة، وهي ترجع من حين إلى آخر إلى مفكرة مفتوحة أمامها، تنتفض حين تسمع صوت انفتاح الباب القائم على اليسار، ولكنها تلتقط أنفاسها حين ترى أوكتاف)

ميريي : (بصوت خافت نوعا ما) كنت أكتب تلك الخطابات الأربعة من أجلك، ولو أردت أن تراجعها... فربما كان ذلك من المستحسن، أولا، لأن خطي...

أوكتاف : (الذي لم يسمع) هيه؟

ميريي : أقول إنك تحسن صنعا لو أعدت قراءة هذه الخطابات.

أوكتاف : لا جدوى من ذلك على الإطلاق، فأنا واثق بأنها جيدة جدا.

ميريي : كتبت إذن إلى مخزن أمانات «دور»، كما طلبت مني.

أوكتاف : جميل.

ميريي : ولكنني أكاد أكون متأكدة من أنني أوضحت قضية «ديبون»، فلا بد من أن هناك شخصين باسم «ديبون جاستون» في الفرقة الرقم ٨، وواحد منهما لم يَرد اسمه في سجلات المخزن. فلو أنه أتى مباشرة من مخزن الفرقة...

أوكتاف : أنت رائعة يا ميريي. يريحني جدا أنك توليتِ مشكورةً هذه المراسلة.

ميريي : هذا شيء طبيعي لا يستدعي الكلام.

أوكتاف : حين أكتب فترة طويلة متواصلة، يستولي عليَّ نوع من التشنج هنا. (يشير إلى مقدمة ذراعه) وأنا لا أدري إن كان ذلك من الروماتزم أو من شيء آخر...

ميريي : (شاردة) هذا شيء يبعث على الضجر.

أوكتاف : (يلاحظها) أنت شاحبة...

ميريي : لا شيء.

أوكتاف : وعيناك متعبتان قليلا.

ميريي : لم أنم جيدا هذه الأيام الأخيرة.

أوكتاف : كنت أظن ذلك، سمعتك تمشين في الليلة الماضية. لا داعي لإرهاق نفسك بكتابة هذه الرسائل...

ميريي : كنت في غاية من السعادة لأن لديّ شيئا يشغلني تلك الليلة، وحين لا يأتينا النوم...

أوكتاف : أجل، أجل... ولكن ليس هذا من العقل في شيء، ولو أن زوجتي ارتابت في شيء من هذا...

ميريي : لن تذهب لتخبرها... من المستحسن انتزاع هذه الأوراق جميعا، فمن الممكن أن تدخل حماتي...

أوكتاف : كنت أعتقد أنك تقولين لها «ماما» في الوقت الحاضر.

ميريي : ولكن حين أتحدث عنها..

أوكتاف : أأنت متضايقة نوعا؟

ميريي : كيف؟

أوكتاف : أن يكون لك هذا السر الصغير إزاءها؟

ميريي : أوثر ألا يكون لديّ ما أخفيه عن أحد، هذا مؤكد مادمت لا أفعل إلا ما هو طبيعي. ولكنها لو علمت بهذا الأمر، فسوف تتألم.

أوكتاف : أتعتقدين أنها ستحقد عليك حينذاك؟

ميريي : (في حيوية) بل كلا. أولا، لأن في هذا شيئا من الصَّغَار.. ثم إنني في نهاية الأمر حرة التصرف كما يروق لي.

أوكتاف : بالتأكيد.

ميريي : كلا، هذا من أجل مراعاة صحتها.. تألمتْ بما فيه الكفاية.

أوكتاف : ليست وحدها التي تتعذب هنا.

ميريي : لم أعرف أحدا له قدرتها على العذاب. وحين أقارنها بالآخرين.. أرى كأنها مُنِحتْ موهبة.

أوكتاف : ألا ينقصها - بصفة خاصة - شيء من الاتزان؟ (حركة من ميريي) لا أريد أن أقول إنها تتباهى بالألم، ولكنها بالأحرى كأنما تُشْهِرُه لتحطيمك.

ميريي : إنك تجرحني.

أوكتاف : أنا «أجرحك»؟

ميريي : كل ما يقال ضدها، إنما يقال ضدي أنا.

أوكتاف : ولكن، يا صغيرتي ميريي...

ميريي : أوه! أظن أن إيفون يمكن أن تتحدث مثلك.

أوكتاف : (بلهجة متغيرة) كلا، إيفون... هذا.. هذا لا علاقة له على الإطلاق.. ولكن، أترين، حين يتذكر المرء ما كانت عليه زوجتي في الماضي... حتى الحرب، لم يحدث قط أننا... ثم حلت التعاسة، وكأنما سمّمتها.. أجل، إنها سم.

ميريي : (في غلظة) ليس مرضا أن يكون الإنسان شقيا... أتراك تجد المنزل شديد الكآبة، مثل إيفون؟ (حركة من أوكتاف) ألا تسير فيه الحياة بسرعة كافية؟ أتتمنى شيئا من الاستجمام؟

أوكتاف : (في حنان) لست أنت التي تتحدثين في هذه اللحظة يا صغيرتي...

ميريي : (تزداد حماســة) فليكن، أنا، معجبة بذلك، أتسمعني، بكل روحي... ربما كان رهيبا، ولكن، لا وجود لشيء جميل سوى ذلك.. أما الباقي، فتافه.. تافه.

(نشعر بأنها على وشك الانخراط في البكاء)

أوكتاف : (الــذي تأملها بإمعان) لا أحــب أن أراك منفعلة على هذا النحو.

ميريي : ليس ذلك انفعالا، بل هو جوهر ما أعانيه، وإن كانت هناك لحظات يبدو عليّ فيها.. أولا، الأمر غاية في البســاطة.. هذه اللحظات، أمقتها.

أوكتاف : (في وقــار) ولكن، إذا كنــت على هذا النحــو من الاتفاق العميق مع زوجتــي، فلماذا اقترحت عليَّ مســاعدتي في هــذا العمل.. الذي لا ترضى هي عنه؟ أكان ذلك من أجلي فقط؟

ميريي : (خافضة العينين) ينبغي ألا تظن أنني معدومة الشخصية، بل أكرّر عليك، إنني لا أفعل إلا ما أريد.

المنظر الثاني

الشخصان أنفسهما، ومدام فرديه

(مدام فرديه تدخل من الباب الزجاجي)

مدام فرديه : (تخاطب لويز التي قادتها) شكرا، يا لويز... صباح الخير، يا أوكتاف.

أوكتاف : مرحبا، يا مارت!

ميريي : أرجــو المعذرة – يــا خالتي مارت – لأنني لــم أحضر بعد لرؤيتك.. ففي كل يوم يحدث ما يعوقني.

مدام فرديه : (بصوت متهدج) أهلا وسهلا بك دائما.

أوكتاف : اجلســي. (تجلس) كان أندريه يحضر كثيرا في هذه الأيام الأخيرة، وبدا لي أحسن من الشتاء الماضي.

مدام فرديه : (وهــي تكتــم عَبَراتها) أصغــي إليّ، يا صغيرتــي ميريي، ينبغي ألا تضيقــي بي، ولكن عندي كلمــة أريد أن أقولها لأخي.. وقد يستطيع أن يعيدها عليك فيما بعد.. ولكن من الصعب... إنني لا...

ميريي : هذا شيء طبيعي.

(تخرج في رفق)

المنظر الثالث

مدام فرديه، وأوكتاف

أوكتاف : أهذا بخصوص أندريه؟

مدام فرديه : أجل.

أوكتاف : ألا يتعلق بصحته؟

مدام فرديه : بلى.

أوكتاف : كنت أعتقد أنك مطمئنة تماما.

مدام فرديه : (بصوت لا تلوين فيه) أندريه هالك.

أوكتاف : ماذا تقولين؟

مدام فرديه : (التي لــم تعد تســتطيع مغالبــة دموعها) محكــوم عليه بالموت.

أوكتاف : ما هذا؟ هذا محال، أنت التي...

مدام فرديه : بعد زيارة أندريه، كتب إليّ الطبيب رسالةً تثير القلق يقول فيها إنه لم يســتطع أن يفضي إلى أندريه بالحقيقة كلها. فذهبت إليه، طبعا.

أوكتاف : وقال لك...

مدام فرديه : لم أر في الحال... سوى وجهه في أثناء حديثه إليّ.. لم يكن يبتسم، وكان يتحدث بصوت خفيض، وكأنما...

أوكتاف : ولكن، يا مارتاي المسكينة، هذا كلّه محض خيال.

مدام فرديه : أندريه تحت رحمة حادث يمكن أن يقع غدا... أو خلال ستة أشهر.. أو.. لا يدري أحد، أخيرا، لا يدري أحد...

أوكتاف : ماذا يعني هذا كله؟ ولكننا جميعا تحت رحمة حادث!

مدام فرديه : كلا، لقد شرح لي، هذا عيب في القلب!

أوكتاف : ثم ماذا؟ أنا أيضا عندي عيب في القلب، وخصوصا منذ أن تركتُ الجيش، لاحظته بقسوة. ولكنني لا أظن أنني مت بعد بسبب هذا.

مدام فرديه : (بصوت مرتعش) أصغ إليّ، يا أوكتاف، لا جدوى من هذا الكلام، أكرّر عليك أنه شرح لي، إنه صمام في القلب يمكن أن يتوقف فجأة عن أداء وظيفته، لمجرد إرهاق. أو انفعال أقوى من اللازم..

أوكتاف : ولكن، لماذا إذن لم يلحظه أحد مبكرا؟ ليست هذه أول مرة يستشير فيها.. يا للشيطان! وخلال الحرب، كل تلك الزيارات...

مدام فرديه : أعتقد أن هذا كله قد تفاقم كثيرا خلال الشهور الأخيرة... أوكتاف، إني نادمة الآن لأنه لم يذهب إلى الجبهة كما كان يريد، فحتى لو أنه.. قُتِل في الحال، لكان على الأقل... على الأقل...

(لاتستطيع إتمام جملتها)

المنظر الرابع

الشخصان أنفسهما، وآلين

آلين : ماذا حدث؟

أوكتاف : مارت تحمل لنا... أنباءً سيئة عن أندريه. فالطبيب المختص الذي ذَهَبَتْ لرؤيته أمس.. ليس – باختصار – متفائلا.

آلين : كيف؟ (تذهب إلى مدام فرديه) مارتاي المسكينة، ولكن هذا فظيع. (تعانقها طويلا) إذن، ما هذا الذي شرحه لنا أندريه في ذلك اليوم؟

مدام فرديه : لم يستطيعوا أن يخبروه بالحقيقة، فهذا يمكن أن يقتله...

آلين : (تظل ملتصقة بها) أوه!

مدام فرديه : إنه لا يعرف حتى أنني ذهبت لرؤية الطبيب، وحتى إذا تصادف حضوره، فلا تظهروا له شيئا...

آلين : مارت، تستطيعين الاعتماد علي. يا إلهي! يا للصغير المسكين!

مدام فرديه : آه، لو كنت أستطيع أن أفكر على الأقل في أنه كان سعيدا! ولكنه لم ينل من الحياة سوى المرارة.. سوى خيبة الآمال.. وليس في وسع إنسان أن يعرف ما عاناه إبّان الحرب.

آلين : (في عذوبة) ولكن لو...

مدام فرديه : كان لديه دائما انطباع بأن الناس يحتقرونه لأنه لم يحارب... وكان يتحاشى أولاد خاله حين يأتون في إجازة.. أوه! إلا ريمون، الذي كان معه دائما غاية في الطيبة!

آلين : (متفكرة) كان ريمون يحبه كثيرا.

مدام فرديه : وكان أندريه يحدثني عنه في كثير من الأحيان.

آلين : صحيح؟

مدام فرديه : تذكري يا آلين.. فترة الشباب التي اجتازها هذا الطفل! لم تَعْبُرْها فرحة واحدة!

آلين : أنت تبالغين.

مدام فرديه : حينما كان أبوه حيا، لم يكن عندي من الوقت ما أهتم فيه بأندريه.. وفضلا عن ذلك ليس في وسعنا أن نفعل شيئا للآخرين.. الإنسان وحيد.

آلين : (بجدية) كلا، يا مارت، ليس الإنسان وحيدا.

مدام فرديه : شكرا! آه! أنت طيبة.. ولا بد أن يكون المرء تعسا مثلي ليقدرك. (حركة من أوكتاف) في لحظة وفاة عزيزي شارل، كان الأمر مماثلا، وإني لأذكر ذلك جيدا.

آلين : أجل، في وقت الشدة يظهر الأصدقاء.

مدام فرديه : أين أوكتاف؟

(كان قد ذهب إلى النافذة، وأخذ ينظر إلى الخارج)

أوكتاف : (من دون أن يستدير) أنا هنا.

آلين : (بصوت مكتوم) الشقاء هو وحده الشيء الحقيقي.

مدام فرديه : يقول أندريه دائما إن لك طبيعةً غاية في العمق. ومن العبث أن أردد عليك هذا القول، ولكنه هو أيضا يشعر على نحو شديد العمق، أحيانا، يفزعني ذلك... وأيا كانت سيطرته على نفسه، فإنه لا يستطيع أن يُخْفي عني ما يعانيه.

آلين : إنكما متحدان اتحادا وثيقا.

أوكتاف : (إلى شخص لا نراه) صباح الخير، صباح الخير.

مدام فرديه : إلى من يقول صباح الخير؟

آلين : (التي تشرئب للنظر) إلى الصغير، إنه يلعب مع ميريي. أما إيفون فقد ذهبت إلى «فيلنوف».

مدام فرديه : ميريي تحب الأطفال حبا جمّا، أليس كذلك؟

آلين : بلى.

مدام فرديه : يا لها من سعادة بالنسبة إليك. أن تكون هنا.. آه! يستطيع المرء أن يقول إن ريمون قد عرف كيف يختار.

آلين : إنه لم يقم بالاختيار.

مدام فرديه : (خافضة صوتها) آلين.. أعتقد أن أندريه يحبها، هو أيضا.

آلين : أندريه!

مدام فرديه : (بحرارة) ينبغي ألا تحقدي عليه. ناضل، ولا يكاد يجرؤ على الاعتراف بذلك لنفسه.

آلين : (في رقة) ولماذا أحقد عليه؟

مدام فرديه : بوسعك أن تفعلي ذلك... إنها عاطفة إنسانية جدا.. وأعتقد أن من الممكن أن أشعر بها لو كنتُ في مكانك.

آلين : لا يستطيع إنسان أن يضع نفسه في مكاني، يا مارت، وفضلا عن ذلك... كلا، أنا لا أشعر بشيء مماثل.. يا للطفل المسكين!

مدام فرديه : شكرا، يا آلين، هذا شيء غاية في الكرم، غاية في.. كنت أخشى أن يفرق ذلك بيننا، فاهمة، ومع ذلك كنت كالمرغمة على قوله لك.

آلين : مرغمة؟

مدام فرديه : لا يستطيع الإنسان معك أن يقول ما يريد، لاحظت ذلك في كثير من الأحيان.

أوكتاف : (الذي مابرح واقفا عند الباب الزجاجي) يا له من رجل صغير مضحك! (يعود صوب المرأتين اللتين تُخلدان إلى الصمت) لماذا سكتما؟

مدام فرديه : آه، لو علمت، يا أوكتاف!

آلين : (في لهجة غريزية) انتبهي.

مدام فرديه : أفضيتُ إلى آلين منذ لحظة.. (إلى آلين) لماذا لا يعرف هو أيضا؟ أندريه... إنه يحب زوجة ابنك.

أوكتاف : (بنوع من الانتفاضة) لماذا تقولين «زوجة ابنك»؟ ميريي ليست زوجة ابني.

مدام فرديه : ولكن كلا... بل إنها في حقيقة الأمر ابنتك.. (صمت) إنه يحبها بما في وسعه، بكل قلبه، في ضرب من إنكار الذات...

أوكتاف : (في جفوة) أتجدين من المستحسن إفشاء سر هذا الابن التعس؟

مدام فرديه : ماذا تقصد؟

أوكتاف : في مثل هذه اللحظة، حين تعلمين... أو على الأقل حين تتخيّلين.. لا أخفي عليك أن هذا يثيرني.

مدام فرديه : أوكتاف!

آلين : نحن لسنا غرباء!

أوكتاف : هذا هو أخطر ما في الأمر!

آلين : وفضلا عن ذلك، كنت أشك في هذا.

أوكتاف : فلنغير هذا الموضوع، أرجوك؟

مدام فرديه : كأنك شخص آخر لا أستطيع التعرف عليه.

أوكتاف : (إلى مدام فرديه) على كل حال، إذا كان من الحق أن مخاوفنا.. أجل، فلنقل إن لها أساسا.. فإنك لا تقدّرين ما يمكن أن تنطوي عليه مثل هذه العاطفة من سخرية، ومن شجن؟

آلين : ربما كانت – على العكس من ذلك – خَلاصا لأندريه المسكين.

مدام فرديه : خَلاصا؟

آلين : هذا الحب، يستطيع أن يلوِّن، يستطيع أن يحوِّل...

أوكتاف : أو قد يكون خاليا من المعنى، أو بشعا. أنا لا أسمح لك بأن تجعلي بريق الأمل يلمع أمام عينيّ مارت..

مدام فرديه : آلين، أتعتقدين حقا أنه من الممكن...

آلين : أي أمل؟ كلا، كلا، إنك لا تفهم... فليس من حقي أن أفترض.. ولكن، بالنسبة إلى إنسان مثل أندريه، فإن عاطفة على هذا العمق تحمل معها ما يشبه العزاء.

مدام فرديه : أخشى أن تكوني مخدوعة...

أوكتاف : ليس هذا ما تعنيه بقولها، إنها تتراجع.

مدام فرديه : عندما عاد من زيارتكم، لم يستطع أن يأكل شيئا. ولم يفتح فمه بكلمة، وكأنما أصابته الحمى، وعانى ضروبا من الأرق.

أوكتاف : (إلى آلين) حاولتِ منذ لحظة أن توحي بأن ميريي يمكن على سبيل الشفقة أو على سبيل... أرجو معذرتك يا مارت، ولكن، هذه مسألة خطيرة جدا، وينبغي ألا يحدث بيننا أي سوء تفاهم...

مدام فرديه : (وقد اختلج وجهها) ولكن، يا أوكتاف...

أوكتاف : أنت يا مارتاي المسكينة امرأة شجاعة، ولا تشكين في أن... أجل.. أستطيع أن أسمي ذلك عذابا.. فيما يمكن أن يصنعه بإنسانة مثل آلين...

مدام فرديه : يا إلهي!

آلين : (بابتسامة) دعها...

أوكتاف : أما أنا، فإنني لحسن الحظ، أرى بوضوح، من أجل الصغير... وأنا...

مدام فرديه : أريد الانصراف... آلين رافقيني حتى العربة.

آلين : (إلى أوكتاف في صوت مكتوم) إذن فأنت تتصور... أيها البائس!

(تخرج مع مدام فرديه)

المنظر الخامس

أوكتاف، وميريي

(يثوب أوكتاف إلى هدوئه رويدا رويدا، ثم يذهب إلى الباب الزجاجي، وينادي)

أوكتاف : ميريي!

ميريي : (داخلةً) ماذا هناك، يا أبتي؟

أوكتاف : تعالي معي يا صغيرتي. ينبغي أن تتحدثي إليَّ أخيرا بقلب مفتوح. فلنبتعد عن هنا، يمكن أن تدخل زوجتي بين لحظة وأخرى.

ميريي : كلا، بالتأكيد، فهذه الأسرار...

أوكتاف : ولكن هذا من أجلك يا ميريي، لأنني أخشى...

ميريي : ماذا؟

أوكتاف : أعتقد أنني لاحظت.. ثم، إني أعلم أخيرا أنك تحادثت صباح أمس الأول مع ذلك الـ «شانتاي» على انفراد.

ميريي : تبادلنا الكرَات في ملعب التنس.

أوكتاف : رأتك إيفون.

ميريي : وبعد؟

أوكتاف : لو حدث على سبيل المصادفة.. من المؤكد أنك تعجبينه، تلك الزهور التي أرسلها إليك، الطريقة التي تحدث بها عنك عند آل «موريل»... لا سبيل إلى الشك في ذلك، حسن، إذا كان الأمر من جانبك... يا صغيرتي، فينبغي ألا يمنعك أيُّ وسواس.. الفكرة، أنه لن يكون – على قدر علمي – محببا بالنسبة إلينا: أنا... وزوجتي. (حركة من ميريي) شاءت الظروف أن ندعوك إلى العيش هنا كأنك ابنتنا، ولكن، ليس هذا سببا يدعوك إلى ألا تحتفظي بكامل حريتك. أقول هذا كله بطريقة سيئة جدا، لأن...

ميريي : (في خشونة) أنت تقول ما قلته ضدها. إن حريتي، لا يهددها أحد هنا، وليس عليك أن تدافع عنها. وذلك الفتى الذي تتحدث عنه والذي كانت عشيقته لاتزال في هذه الضواحي منذ بضعة أسابيع...

أوكتاف : من تحدث إليك عن هذه المرأة؟

ميريي : علمتُ ذلك.. عَرَضا.

أوكتاف : أما أنا، فقد أكّدوا لي أنه قطع صلته بها منذ نحو سنة.. أنتِ لم تعودي طفلة، يا ميريي، وتعلمين جيدا أن الرجال حين يتزوجون... وعلى قَدْر علمي، لا مأخذ على «روبير شانتاي»...

ميريي : هل تقصيت الأمر؟

أوكتاف : إني تحريت الموضوع.

ميريي : بأي دافع؟ وما الجانب الذي تدافع عنه؟ اعترف إذن بأنك تفعل ذلك ضدها، ومن أجل الإساءة إليها... آه! يا لها من لُعْبة بشعة!

أوكتاف : هذا لأنني أريد سعادتك.

ميريي : أتعرف إذن نوع السعادة التي أقدر على احتمالها؟

أوكتاف : هذا ليس من تعبيراتك.

ميريي : إنك تعذبني، إنك تـ... آه! ليتني أستطيع الرحيل!

أوكتاف : الرحيل؟

ميريي : ولكن، لن أجد لديّ القوة على ذلك.

المنظر السادس

الشخصان أنفسهما، وآلين، وأندريه

أندريه : (داخلا مع آلين) لم تقل لي ماما إنها حضرت لزيارتكم...

آلين : لقد دخلت في أثناء مرورها على المنزل.

أوكتاف : أهذا أنت؟ صباح الخير.

ميريي : صباح الخير، يا أندريه.

أوكتاف : كيف حالك؟

أندريه : أكان لدى أمي شيء خاص تود أن تقوله لكم؟

أوكتاف : ولكن... كلا...

(حركة من ميريي)

أندريه : ربما كان شيئا تطلبه منكم؟... إنها تخبرني دائما بالمكان الذي تذهب إليه، ولهذا دهشت، كما أن هيئتها منذ لحظة...

آلين : (بسرعة شديدة) لقد أصابها صداع.

أندريه : هذا شيء لا يحدث لها كثيرا.. هل رأيت أمي، يا ميريي؟

ميريي : (في شيء من الارتباك) أجل... كلا... لحظة واحدة فقط.

أندريه : ولماذا لحظة واحدة فقط.

ميريي : (مترددة) أنا.. لأن إيفون في «فيلنوف»، وكان عليَّ أن أهتم بالطفل بعد الظهر.

أندريه : يبدو عليكم الارتباك، أنتم الثلاثة؟

ميريي : الارتباك؟

آلين : أنت مضحك، يا أندريه!

أوكتاف : يا لها من فكرة!

أندريه : (ذاهبا إلى آلين، وبصوت هامس) لو عَرَفْت ماما بأمرها.. ما كان يجب أن تفعل ذلك...

آلين : (مشيرة إلى ميريي) هيا، يا أندريه.

ميريي : ماذا تقول؟

أندريه : (إلى آلين) إنها تعرف بمن تتمسك.

أوكتاف : يا صغيري، احترس.

أندريه : لا أريد أن نعتقد... وخصوصا الآن بعد أن ذهب، أن لدي نصيبا كبيرا من الشجاعة.

ميريي : (بنبرة ضارعة) أندريه، أرجوك...

أندريه : (إلى أوكتاف وإلى آلين) أليس كذلك؟ لقد خمنت.. هذا هو ما أتت أمي تتحدث عنه. وهيئتها حين انصرفت! رباه! ولكني أقسم لكما... إنها فكرة طَرَدْتُها مرةً واحدة وإلى الأبد... (إلى ميريي) أنت لا تصدقينني، وتتصورين أنها تحدثت بإيعاز مني.. والقليل الذي حصلتُ عليه، سيُسْحَبُ مني. آه! لماذا فَعَلَتْ ذلك؟ لماذا؟

ميريي : (ذاهبة إليه) أندريه، أنا، لم أكن أعلم...

أوكتاف : إن ما قُلْتَه لا ينطوي على كلمة واحدة من الحقيقة...

آلين : (إلى أوكتاف) ولمَ الإنكار؟

ميريي : (إلى أندريه) ولكني أعدك بأن شيئا لن يتغير... وأنني، أولا واثقة بأنك تقول الحقيقة.

أندريه : (سعيدا) إنني قليل المطالب... حين عرفتُ أنه سيغادر البلاد.

أوكتاف : عمن تحدث؟

ميريي : أندريه!

أندريه : اغفري لي إن كان لديَّ خوف. من ذلك.

ميريي : (متألمة وبصوت خافت) أنت تفتقر إلى الحياء (يحاول أندريه أن يأخذ بيدها.) كلا، كلا، دعني!

أوكتاف : من الذي سيرحل؟ أهو «شانتاي»، على سبيل المصادفة؟

أندريه : أجل.

أوكتاف : ولماذا يرحل؟ (أندريه ينظر إلى ميريي التي خفضت عينيها) وماذا يعنيك من هذا؟ أجب، من فضلك.

آلين : ولكن، يا أوكتاف...

أوكتاف : أوه! أنت...

أندريه : (يتحسس جبينه بيديه) لست أدري لماذا تركت نفسي تمضي على هذا النحو. ليس هذا جديرا برجل، هذا...

(يترنح)

ميريي : ماذا أصابك؟

أندريه : لا شيء، سيزول حالا..

آلين : لا يمكن أن نتركه يرحل وهو في هذه الحالة.

أندريه : سأذهب لأستريح لحظة في آخر الحديقة.

آلين : أتريد أن نذهب لنُجْلِسك؟

أندريه : كلا، شكرا.

(يخرج)

المنظر السابع

أوكتاف، وآلين، وميريي

أوكتاف : (إلى ميريي) أصغي إليّ الآن يا ميريي، إننا لم نخبره بالحقيقة، وأختي لم تفكر قط في... كلا، لقد أنبأتْنا من فورها بأن الولد المسكين مصاب بداء قاتل.

ميريي : (مأخوذة) آه!

أوكتاف : وأظن أن زوجتي رأت من المستحسن – حتى لا تثير قلقه – أن تتركه يعتقد... (إلى آلين) لقد كنت مخطئة، على كل حال، فلم تكن ثمة حاجة إلى تقديم تفسير له، كما أنك جعلته نَهْبا للحيرة.

ميريي : (بعمق) وهكذا، فإنه لضائع؟

أوكتاف : هذا على الأقل ما تعتقد أمه أنها فهمتْه، ولكن ينبغي القول بأنها تضع الأشياء دائما فى أسوأ موضع.

آلين : (في رزانة) أما هذه المرة فأخشى أن تكون على حق.

أوكتاف : ومن أدراكِ؟

ميريي : وهو يتخيل... هذا مخيف!

أوكتاف : وهو في غاية من السعادة، لأنهم استطاعوا إبقاءه حتى هذه اللحظة في ذلك الوهم. فلو أنه أحس بهذا الخطر مُعلَّقا فوق رأسه...

ميريي : أجل، ولكن خداع النفس على هذا النحو، فيه إذلال، إنه يُنْقص من قَدْر الإنسان، وأنا، لو حدث لي شيء كهذا...

أوكتاف : لست أدري إن كان أندريه يملك نفسا صلبة بحيث يمكن أن تحتمل الحقيقة، الواقع، أنني أشك في ذلك.

آلين : (محتدة) أتجد من الكرم الحط من قيمته في مثل هذه اللحظة؟

أوكتاف : أنا لا أحط منه، بل أراه كما هو.

ميريي : أيستطيع قليل من الشفقة...

أوكتاف : عندي من الشفقة حظ وفير، كل ما في الأمر، أنها يمكن أن تأخذنا بعيدا (يتنبه إلى أنه قد نطق كلمة خطرة، فيسارع إلى الحديث عن موضوع آخر) أتعرفين أن هذا الـ «شانتاي» قد غادر البلاد؟

ميريي : (في ارتباك) كلا.

آلين : كيف تريد أن تعرف ميريي؟

أوكتاف : ألم يقل لك شيئا عن هذه الخطة، ذلك الصباح؟

آلين : (إلى ميريي) إذن تحادثتما معا، في هذه الأيام الأخيرة؟

ميريي : (بصوت خافت) لعبنا التنس صباح أمس الأول.

آلين : لم تقصّي عليّ شيئا من هذا.

ميريي : (مازالت مرتبكة) لم يخطر حتى على بالي.. وفضلا عن ذلك، أنت تعلمين جيدا أنه يأتي كل يوم إلى ملعب التنس.

أوكتاف : هذا الرحيل المفاجئ غير مفهوم. قال للناس جميعا إنه ينوي الاستقرار هنا.

ميريي : (في جهد) ربما كان رحيله لبضعة أيام.

أوكتاف : يبدو على أندريه أنه يعتقد...

ميريي : (في صوت غير متميز) ماذا يعرف عن ذلك؟

(تكون آلين قد جلست إلى المائدة، وفتحت كتابا لا تقرؤه. ينظر إليها أوكتاف. ويتعرف على وجهها تعبيرا مألوفا لديه)

أوكتاف : سأذهب بنفسي لأرى ما صار إليه أندريه.

(يخرج)

المنظر الثامن

ميريي، وآلين

(تظل ميريي حائرة في أول الأمر، ثم لا تلبث أن تقترب من آلين وكأنها مدفوعة بقوة خفية)

ميريي : ماما.. (آلين لا تجيب) ماذا تقرئين؟

آلين : لا أعرف؟

ميريي : كيف لا تعرفين؟

آلين : (واضعةً الكتاب) كلا (صمت) هذا أول حزن حقيقي تسببينه لي.

ميريي : أنا؟

آلين : (بصوت مرتجف) ولم أكن أعتقد أنك قادرة على هذا...

(لا تتم جملتها)

ميريي : أكملي.

آلين : لا أهمية للكلمة.. ولا يقتصر الأمر على أنك أخفيت عني بعناية تلك المحادثة... ولكن لهجتك منذ لحظة، وتعبير وجهك حين قلت.. ولا شيء غير هذه الجملة: «لقد لعبنا التنس صباح أمس الأول».. في هذه الجملة حَاوَلتِ أن تخدعيني.

ميريي : ليس عندي حساب أؤديه لك، يا ماما.

آلين : لا تستخدمي هذه الكلمة، إنها استهزاء.

ميريي : إذا كانت لديّ أسبابي لالتزام الصمت حول مثل تلك المحادثة...

آلين : كان ينبغي أن تقولي بأمانة إنه لم يكن في وسعك أن تقصّي عليّ شيئا.

ميريي : وهل كنت توافقين على ذلك؟

آلين : من دون صعوبة.

ميريي : لست من السيطرة على نفسي بحيث أتوقف في منتصف الطريق الخاص بإفضاء الأسرار.

آلين : (في رفق) من الأيسر أن يكذب المرء.

ميريي : إنك تهينينني!

آلين : ربما كان هذا هو الحزن الوحيد الذي أجد نفسي في حالة الشعور به.

ميريي : (مشــتعلة) أريد أن أكون حرة في تصرفاتي، ومجرد فكرة أي... قهر...

آلين : ومن الذي يتحدث عن القهر؟

ميريي : لــن أوافق أبدا على أن أكون عبدة لأحد، كلا، كلا لن أكون عبدة لأحد على الإطــلاق... ولو كنت قد صارحتُك بأنني رفضت أن أكون زوجته...

آلين : هل طلبك؟

ميريي : ورحــل، لأنني قلــت «لا»... فلو حكيت لــك، لبدا لي أنني رفضت لأنال رضاك، وهذه فكرة لا أحتملها..

آلين : يا صغيرتي...

ميريي : كان من الطبيعي جدا ألا أقول شيئا عن هذا الموضوع، ولن تكونــي امرأة إن لم تفهمي ذلك ولكن، لســت أدري، كأنك تفتقرين إلى حاسة من الحواس! أوه! لقد لاحظت ذلك في كثير من الأحيان، ثم... أتسمعين، إنني أريد أن أكون حرة، وســأحتقر نفســي إن لم أكن كذلك.. أولا، الأمر غاية في البساطة، لأنني لن أكون عندئذ شيئا، وأنتِ سأبغضك أنتِ أيضــا. وحين تراودني هذه الأفكار، أود لو رحلت بلا عودة إلى الأبد.

(حركة من آلين. صمت)

آلين : لم تكوني تبدين مكتئبة قليلا هذه الأيام الأخيرة.

ميريي : أتلاحظيننا إلى هذا الحد!

لين : تصوري أنني كنت على وشــك أن أتساءل عما إذا كان هذا الرجل...

ميريي : لا أستطيع أن أحتمل وضوح رؤيتك كل هذا الوضوح.

آلين : ولكن كلا، لقد أخطأت، على العكس، مادمت قد خشــيت لحظة ألا يكون غير مكترث بك تماما.

ميريي : الواقع، أنهــا كانت حماقة، وهذا يجرحنــي... (تحتد من جديد) ولكن، لماذا الخوف؟ فعلى فرض المســتحيل أنني.. أجل، حتى لو أنني أحببته...

آلين : على قدر ما أعرف، أعتقد أنه كان يصبح تعاسة.

ميريي : ماذا تعرفين إذن؟

آلين : ولحسن الحظ، أمكن تجنب هذه التعاسة.. إنه لا يعجبك، مادمت قد رفضتِه.

(تأتي ميريي بحركات عصبية، وكأنها تتخلص من شــبكة غير مرئية)

ميريي : أنت تفهمين.. لو قلت نعم، لما استطعت أن أحتمل أي علامة على الاستنكار.

آلين : كنت سأبذل أقصى جهدي حتى لا أدعك تلمحين حزني.

ميريي : لست أدري إن كنت تنجحين في ذلك. أنت أقل سيطرة على نفسك مما تظنين. فلو أنني عقدت عزمي، وحاولت أنت أن تثنيني عن تنفيذه، لما غفرت لك ذلك.

آلين : أنت تعذِّبين نفسك بلا طائل، يا صغيرتي، مادام لم يحدث شيء من هذا كله.

ميريي : (بصوت خافت) إنها أفكار تجعلني شبه مجنونة.

(صمت)

آلين : انظري كم كنت على صواب منذ بضعة أيام، عندما توسلت إليك أن تضعي ثقتك فيّ.

ميريي : لم تكن هذه غير كلمات لا يمكن أن تفيد شيئا.

آلين : ولكــن ثمة نتيجة أعتقد أنه يجب اســتخلاصها من كل ما قلته الآن... إن الحياة هنا بدأت تَثْقُل عليك.

ميريي : ولكــن كلا، بل إن هذا اللوم الجائر هو الذي حيّرني، أجل، الجائر... ثم هناك أيضا تلك المسألة البشعة.

آلين : بخصوص أندريه؟

ميريي : أجل. (صمت) أتعرفين أنه كان يحبني؟

آلين : كنت أشك في ذلك.

ميريي : يا للولد المسكين! ولكن لماذا بدا منذ لحظة مبتئسا على هذا النحو؟ وما كان ينبغي أن يفعل هذا أمامك أبدا.

آلين : إنه يعتقد أن والدته قد أحاطتنا علما بعواطفه نحوك.

ميريي : حتى لو...

آلين : ثم إني أعتقد مخلصةً أنه ليس تافها.. ربما كانت كل تلك الإذلالات التي كابدها في أثناء الحرب.

ميريي : كان ينبغي أن تثير غروره.

آلين : كلا، إنه كان يخجل من أنه لم يقاتل.

ميريي : كان في إمكانه أن يرحل... لو أراد؟

آلين : كان عمك يقول لي في كثير من الأحيان إنه كان ينبغي إجلاؤه في ظرف أربع وعشرين ساعة..

ميريي : (متفكرة) هذا حق بكل تأكيد... ومع ذلك، هذا الابتئاس عند رجل..

آلين : عندما يكون مخلصا...

ميريي : لا أشك في أنك تحسنين به الرأي. (حركة تملص من آلين) الواقع أن الخالة مارت لم تلمّح أي تلميح إلى...

آلين : صارحتني فقط بأن أندريه يشعر نحوك...

ميريي : (مرتجفة) لماذا قالت لك ذلك؟

آلين : أعتقد أنها لم تكن ترمي إلى غاية محددة، لا بد أن ذلك لمجرد حاجتها إلى المكاشفة.

ميريي : وفضلا عن ذلك، كيف يمكنها أن تفكر جِديا؟.. أليس كذلك؟

آلين : نعم. (تتفحصها ميريي في قلق) هذا واضح.

ميريي : (في حدة) آه! هذا فظيع!

آلين : ماذا تعنين؟

ميريي : لا أستطيع أن أعرف فيمَ تفكرين.

آلين : ومع ذلك، مادمتُ على هذا القَدْر من قلة السيطرة على نفسي...

ميريي : (في مرارة) بل إنك مسيطرة على نفسك أكثر من اللازم...

آلين : ثم، ما هي الفكرة المفترضة التي تريدين أن تكون عندي؟ تسألينني عما إذا كانت شقيقة زوجي تستطيع أن تواجه فكرة أن... (حركة من ميريي) أنا أجيبك بأنني لا أعتقد ذلك.

ميريي : ولكن أنت، أنت...

آلين : يا عزيزتي، أنا لا أفهم إلامَ ترمي أسئلتك. أينبغي أن أستشف ما في نفسك؟

ميريي : (في عنف) إذن، فأنت تتخيلين أنني فكرتُ في ارتكاب جريمة الانتحار هذه؟ إني أُصر على هذه الكلمة انتحار. ألا يفزعك هذا؟ وتوافقين في هدوء على أن في استطاعتي الزواج من هذا المحتضر... الذي لا أشعر نحوه إلا بقليل من الشفقة، وربما بشيء من الاحتقار أيضا؟

آلين : أنت تؤلفين أشياء، في هذه اللحظة.

ميريي : كيف أؤلف أنا؟

آلين : ليس لي أن أوافق أو لا أوافق. إنك لم تطلبي رأيي. وفضلا عن ذلك، من الواضح أشد الوضوح أنني لا أريد أن أؤثر فيك بأي ثمن.

ميريي : (بصوت مكتوم) هذا شيء مفروغ منه.

آلين : كان في استطاعتي على أكثر تقدير، محاولة إفهامك نفسَك.

ميريي : (بصوت أكثر ارتفاعا) شكرا...

آلين : ومن الممكن أن تخطئي إلى حد ما في التعبير عن عواطفك الشخصية حين قلت إنك لا تشعرين نحو أندريه...

ميريي : إذن، فأنت تزعمين أنك تعرفينني خيرا مما أعرف نفسي؟

آلين : جائز.

ميريي : (بحرارة) آه! لو كان والداي مازالا في هذا العالم، لما سمحا بشيء من هذا، ولدافعا عني ضد نفسي.

آلين : ضد نفسك، هذا إذن...

ميريي : لاهتمامهما بسعادتي، هما الاثنين! هيه!

آلين : (متألمة) ميريي!

ميريي : عفوا، ولكنك أنت، أنت إنسانة السعادة بالنسبة إليها.. هذا شيء لا أهمية له. أوه! أعتقد أنني لن أستطيع بعدُ أن أذوق لها طعما إلى الأبد. ولكن، ليتني كنت مخطئة، أتفهمين، ليتني كنت مخطئة!

(صمت)

آلين : ثمة شيء مؤكد، لو أن هذا الزواج.. (حركة من ميريي) يقع منك موقع الانتحار، فلا ينبغي التعرض له على الإطلاق.

ميريي : وكيف تريدين أن أعرف؟

آلين : حين رأيت أنك أوقفت فكرك – وإن لم يكن ذلك غير لحظة واحدة – عند هذه الفكرة قلت لنفسي: ربما كانت الحقيقة تكمن هنا في واقع الأمر.

ميريي : أنت تدبرين للآخرين، وتفكرين مكانهم.

آلين : كان يخيل إليّ أنه بالنسبة إلى نفسٍ كنفسك، نفسٍ أَنْضَجَهَا الألم...

ميريي : أتسمين ذلك نضجا؟

آلين : إن السعادة لا يمكن أن تكون سوى اسم آخر لـ... نعم،

فلنقل للتضحية... (صمت) ربما كنتُ مخطئة... (بصوت خافت) أنت شابة...

ميريي : هذا الإحساس عندي أنا أيضا... كل ما في الأمر أنني أريد أن أكون متأكدة من أنه أكثر.. لست أدري، أنا، من مجرد أمنية.

آلين : تشكّين في نفسك... الحياة هي العطاء، وأنت تعلمين ذلك جيدا.

ميريي : أأنا جديرة بتوكيد ذلك؟... أجل، يخطر هذا على بالي أحيانا، ولكن، لو أن ذلك لم يكن سوى ضرب من الحماس الكاذب لا يلبث أن يزول، ثم... أمِن حقّي ذلك؟... (في رعشة) ربما لو لم أكن أعرف إلا.. قد يكون الأمر قصيرا... هذه الفكرة ربما لم تكن لتخطر لي. ولكن، فكّري إذن في هذه الخيانة. الاستغناء عن حل الأزمة... من يدري؟ أن يَنْفَد صبري لو تأخر، يا للبشاعة!

آلين : (تضمها إلى صدرها) ولكن هذه كلها أشباح، هذه الأفكار التي تراودك.. وستبدّدُها الحياة.

ميريي : الحياة!... لو كنتُ متأكدة – على الأقل – من أن هذه الفكرة هي حقا جزء من نفسي.. أجل، وأنني في النهاية جديرة بها...

آلين : (بصوت هامس) لم أكن أعرف أنك على هذه الدرجة من العمق...

(تبتعد عنها ميريي فجأة)

ميريي : لعلها عدوى.

(صمت)

المنظر التاسع

الشخصان أنفسهما، وأوكتاف

أوكتاف : (داخلا) أندريه يشعر بتحسن، وهو يريد الانصراف. ولكن لا أدري من الفطنة أن أتركه يعود سائرا على قدميه... هل السيارة موجودة؟

آلين : أنت تعرف جيدا أن إيفون قد أخذتها للذهاب إلى فيلنوف.

ميريي : وفضلا عن ذلك،. عندي كلمة أريد أن أقولها لأندريه، قبل أن يذهب

(تخرج)

أوكتاف : ما هذا كله؟... أطالب بتفسير. ماذا جرى بينكما؟ أمن قبيل المصادفة؟ يا للشيطان، إن له من الصحة النفسية ومن الحسم السليم ما يفوق الحد... يا آلين!

آلين : ليس من حقي أن أجيبك، فليس هذا سِرّي أنا.

أوكتاف : هاأنذا مُثَبّت في مكاني، ولكنني لن أسمح بهذا، آه! كلا، على كل حال.

(يهم بالخروج)

آلين : (في هدوء تام) احذر.

أوكتاف : ما معنى هذا!

آلين : لا يبدو أن لديك أقل فكرة كم تغار ميريي على استقلالها.

أوكتاف : وبعد؟

آلين : من الممكن أن تكفي كلمة طائشة تصدر عنك للتعجيل بالحدث الذي تخشاه.

أوكتاف : ألم تَعَقِد عزمها بعد؟

آلين : لست أدري شيئا.

أوكتاف : هذه مناورة لمنعي من الحديث إليها.

آلين : مناورة!.. ولكن، من تظنني في النهاية؟

أوكتاف : لن أتركك تفعلين ذلك.

آلين : وهكذا، تدعي؟

أوكتاف : لقد استعبدتِها.. أجل، استأنستها.

آلين : آه لو سمعتك!

أوكتاف : إنها تحس بذلك إحساسا غامضا.. وسأتكفل بتنويرها.

آلين : أشك في أنها ستعترف بجميلك عن هذه التنويرات، فضلا عن.. أن هذا زائف. فما من شخص يحترم حرية الآخرين أكثر مني.

أوكتاف : هذه، ثالثة الأثافي!.. كلا، ولكن أتقولين ذلك على محمل الجد؟

آلين : أتعرف أنك تصرخ؟

أوكتاف : سيان عندي... إذا اعتقدتِ أني لا أرى لعبتك بوضوح.

آلين : أوكتاف!

أوكتاف : هذا الحجر المعنوي لمصلحة...

آلين : حذار!

أوكتاف : لمصلحة طفل مسكين لم يعد موجودا للحيلولة دونه، ولاستنكار ما تفعلين!

آلين : كفى!

أوكتاف : هذا النوع من الكلّابة التي تضغطين بها على تلك الصغيرة التعسة... هذا الاستبداد الذي يختفي تحت مظاهر الحنان... ماما.. إنها تدعوك ماما!

آلين : كفاك، يا أوكتاف!

أوكتاف : ثم ماذا... أوه! هذا أسـوأ من كل شيء.. هذا الباب الذي تواربينه، لأن الأمر يتعلق بشخص مشرف على الموت!

آلين : أيها البائس!

أوكتاف : (بقوة) لأن الأمر يتعلق بمحتضَـر... أخذت ألاحظك منذ لحظة، وأنت مع مارت. أنت التي لم تسـتطيعي أن تشعري بها قط... تلك الشـفقة التي خُدِعَـت بها... هذا التهالك على الشـقاء والموت.. (بصوت مكتوم) هذا، إنه لفظيع، لو لم تجدي شخصا سيئ الحظ، محتضرا تضعينه في طريق ميريي، لَمَا سَمَحْتِ لها بأن تصنع حياتها من جديد.

آلين : هذا باطل، لقد قلتُ لها ذلك عشرين مرة...

أوكتاف : ليست الأقوال هي التي يُعْتَد بها، وأنت تعلمين ذلك جيدا.

آلين : لقد وعدتُها...

أوكتاف : بتسـامحك؟ ما من وسـيلة أضمن لتقييدها من ذلك. كان ينبغي المطالبة بأن تتزوج فتى سـليما، قويـا.. إنها خُلِقَتْ لتعيش، لتحب..

آلين : وهكذا، ريمون...

أوكتاف : كلا، كلا، لا تقولـي إن هذا من أجل ابنـك، إنه من أجلك أنـت، إنه على سـبيل... لا وجود لكلمـة يمكن أن تصف هذا، لا وجود لكلمة. قمتِ باسـتغلال حزنها، وهواجسها، وإعجابهـا بك... اسـتخدمتها جميعا لإحـكام تقييدها.. والآن عندما راودها الوهم بالإفلات، هاأنت أيضا...

آلين : أنت فصيح، ولسـوء الحظ، لديك من الأسباب ما يدفعك إلى النسـيان، ولأن تريد أن ينسـى كل من حولك. أما أنا، فأتذكر كل شيء، هذه هي جريمتي الكبرى، ومن الطبيعي أن تمقتني، إنك تمقتني في هذه اللحظة، يا أوكتاف... وإلا لما ألصقت بي هذه الصفة..... أنا، خائنة!

أوكتاف : ربمـا لم يكن هذا مـن الخيانة، ربما كنـت لا تدرين أنت نفسك...

آلين : (فـي نوع من الاحتقار) كلا، اذهب، الأمر لا يسـتحق هذا العنـاء، إني أعفيـك... لم تبق إلا كلمة أريـد أن أقولها.. ميريـي.. الظمأ إلـى التضحية، إلى المطلـق، ذلك الظمأ الذي يستولي عليها، إنسان مثلك لا يستطيع حتى أن يفطن إلى وجوده.

أوكتاف : ميريي؟ إنها تحب «شانتاي»، هذه هي الحقيقة».

آلين : هذا خطأ.

أوكتاف : إني أؤكده لك أنا.

آلين : لو كان ذلك حقا، فلتخبرني هي به في وجهي.

أوكتاف : لن تحصلي منهـا إلا على الأجوبة التي تتمنينها، إني أكرر عليك، لقد استعبدتِها.

آلين : ليس هذا ممكنا.

أوكتاف : فكرها الحقيقي، لن تعرفيه أبدا، هذه هي عقوبة المستبدين. بل، إنها هي نفسـها سـتكف عن معرفة هـذا الفكر حالما تكون معك تكون معك... والآن. أصغي إليّ، مادامت الأمور قد وصلت إلى هذا الحد... حسـن، لم يعد لي سـوى دور ينبغي أن أقوم به. هذا المساء، سأكون قد غادرت فرانكليو، لكيلا أعود إليها أبدا.

(نـراه وقد رفع يـده فجأة إلى صـدره. يمكث لحظة بلا حـراك، وعلى وجهـه تعبير عن الألم. يبـدو وكأنه ينتظر كلمة، ولكنها لا تأتي، ثم يخرج مهرولا)

المنظر العاشر

آلين، ثم ميريي

(تبقى آلين في بداية الأمر صامتة من دون حراك، ولكن من الواضح أنها تناضل الكلمات التي تفوّه بها أوكتاف من فوره. تغمغم وقد استولى عليها ضرب من الدهشة الحانقة.

آلين : أنا يصمني بالخيانة؟ ليس هذا حقا، ليس هذا حقا (ومع ذلك يشتد قلقها، فتتهاوى أخيرا على ركبتيها يائسة. وفي هذه اللحظة تدخل ميريي، وهي شديدة الشحوب، وتقول بصوت هامس)

ميريي : كان ينبغي أن أقول له إني أحببته...

(ستار)

* * *

الفصل الثالث

(بعد عام. في بيت أندريه وميريي. صالون حسن الإضاءة ينفتح بواسطة نافذتين على شرفة. يوم من أيام نوفمبر. والساعة الرابعة)

المنظر الأول

ميريي، وأوكتاف

(ميريي جالسة على مقعد وثير، تشتغل التريكو، يجلس إلى اليمين أوكتاف الذي لم يخلع معطفه بعد، ويمسك بيده لفافة)

ميريي : ولكن ينبغي أن تخلع معطفك، إذ أخشى أن تُصاب بالبرد عند خروجك.

أوكتاف : شكرا، لن أمكث غير لحظة واحدة.

خادمة : (داخلة) هل دقّت سيدتي الجرس؟

ميريي : آنًا، ينبغي أن تعدي مدفأة القدمين للسيد. فأنا متأكدة من أنه سيعود بقدمين مثلجتين. وتستطيعين أن تغلقي مصاريع النوافذ البرانية (الشيش) فقد هبط الليل تقريبا.

الخادمة : سمعا وطاعة يا سيدتي.

(تخرج)

أوكتاف : ما هذا التريكو الذي تشتغلينه بهذا الحماس؟

ميريي : جوارب للأطفال الذين تحت رعايتي.

أوكتاف : (بلهجة عدائية) آه! أجل، تحت رعايتك.

ميريي : الواقع أننا ننظم حفلا للبيع في الشهر المقبل، وأنا أعتمد على كرمك.

أوكتاف : تعلمين أنني لا أقدّر أبدا أعمال البر والإحسان التي تقوم بها الشابات. إنها فضيلة العجائز. إن المتزمتات، وراهبات الإحسان اللواتي تلتقين بهن في تلك المؤسسة...

ميريي : (في رزانة) إني أحب الراهبات حبا جمّا.

أوكتاف : تبا لهن! عندما يرى المرء الحياة التي ساقتك إلى هنا..

ميريي : أتُراك حريصا على أن تجعلني أتألم؟

أوكتاف : إطلاقا.

ميريي : على كل حال، ربما لم يكن ذلك يسيرا جدا عليك في الماضي، أتَذْكُر؟ كنتُ نَفورا، وكنتُ أُثار بسهولة. والآن، لم يعد هذا يحدث لي إطلاقا.

أوكتاف : الحمد لله.

ميريي : هذه علامة على أنني وجَدتُ طريقي.

أوكتاف : (بلهجة متباعدة) نعم، نعم...

ميريي : السلام الجواني.

أوكتاف : يا صغيرتي، إني أحمل إليك الكتاب... لقد صدر صباح اليوم.

ميريي : (بانفعال) آه! كتابنا...

أوكتاف : أوه! كلا، ينبغي ألا تقولي بعدُ «كتابنا». كان ذلك جميلا في حينه. (ميريي تهم بفض اللفافة) كلا، كلا، اطَّلعي عليه فيما بعد، كل ما أطلبه منك هو ألا تُطْلعيه عليه.

ميريي : أتقصد أندريه؟

أوكتاف : أجل، فهذا لا يعنيه في شيء. أولا، لأنه لم يكن موجودا هناك، ولهذا لا يمكن أن يهمه هذ الأمر. ثم، إنه قد يبدي ملاحظات... وأخيرا، أنا لا أدري شيئا. اتفقنا، أليس كذلك؟

ميريي : كما تشاء. ومع ذلك...

أوكتاف : إني حريص على ذلك. إذن، هاهو ذا، والآن أستطيع أن استعد للرحيل من دون نية سيئة.

ميريي : أبي!

أوكتاف : آه! كلا! ينبغي ألا تخلعي عليّ بعدُ هذا الاسم. هيه، أمازلتِ تنادينها بماما؟ الحقيقة ، إن هذا لم يعد يعنيني.

ميريي : لا أستطيع احتمال الشعور بأنك يائس.. إلى هذا الحد.

أوكتاف : لا داعي لاستخدام الكلمات الضخمة، أرجوك. لماذا تريدين أن أظل على تمسكي بالحياة؟

ميريي : (متلعثمة) إيفون... (يهز أوكتاف كتفه) الصغير...

أوكتاف : جاكو. أجل، في الأيام الأولى، حاولت، واعتقدت... ولكنه لا يشبه ابننا.. لا يشبه ابني. إنه سيبيع سيارات كأبيه، وسترين. كان ينبغي اتخاذ عادات جديدة. كل ما في الأمر، أن المسألة صعبة، كما تعرفين، في سني. لا يمكن أن يتخيل المرء كم هو صعب. خذي مثلا، القراءة. لا مجرد كتيِّب من حين إلى آخر، بل القراءة طوال أيام...

ميريي : (في رفق) هذا يرهق العينين.

أوكتاف : بعد بضع دقائق، ألاحظ أنني لست منتبها. هذا مضحك جدا... ربما لو كان لديك أنت ابن، ربما جعلني ذلك..؟ تصوري أنني منذ ستة أسابيع، تخيلت أن ثمة شيئا في الطريق. (حركة من ميريي) لست أدري بالضبط لِمَ تَوَارَدَ عليّ هذا الخاطر. (صمت) وهو، كيف حاله؟

ميريي : (في مرح مصطنع إلى حد ما) في المرة الأخيرة التي تحدثت فيها إلى طبيبه، كان مشجعا بشكل قاطع. وقال إنه بشيء من الحيطة والحذر يمكن أن نأمل الكثير. وفضلا عن ذلك، يبدو على أندريه التحسن منذ مدة.

أوكتاف : آه!

ميريي : وكان من الممكن أن تلاحظ ذلك، من دون هذا الموقف المُسبَق.

أوكتاف : ليس عندي أدنى موقف مسبق.

ميريي : (متهيجة) أنت تريد على نحو مطلق، أن يسير كل شيء هنا إلى الأسوأ، لأنك تحلم من أجلي بسعادة مستحيلة لا أدري لها كنها، أجل، أجل، مستحيلة، أنت لا تستطيع أن تُذعن لفكرة أنني قد وجدت ما أرْضِي به روحي.

أوكتاف : دائما روحك!

ميريي : ومع ذلك، فهذه هي الحقيقة. أنا موجودة، مادام هناك آخر يحتاج إليّ. إني أتذكر عبارة استرعت نظري في هذه الأيام الأخيرة.. لا أدري في أيّ كتاب: «لا نبلغ الحياة الحقة إلا إذا سمونا فوق أنفُسنا»، هذه الجملة، ألا تشعر بما فيها من جمال، ومن حق؟

أوكتاف : (في جفاء) أنا لا أحب الاستشهادات.

المنظر الثاني

الشخصان أنفسهما، وأندريه

(أندريه يدخل لاهثا إلى حد ما، وممسكا بيده برقية)

ميريي : (في شيء في العتاب) لِمَ لَمّ تأخذ المصعد!

أندريه : صباح الخير، يا خالي أوكتاف.

أوكتاف : (في برود) صباح الخير.

ميريي : ما هذه البرقية؟

أندريه : (يناولها إياها) لقد سلموني إياها الآن. (يخفض صوته قليلا) إنها من الخالة آلين.

أوكتاف : (مرهفا سمعه) ماذا؟

أندريه : (مرتبكا، وبصوت أكثر ارتفاعا) إنها من.. الخالة آلين.

أوكتاف : (في برود) أهي عادت؟

أندريه : منذ هذا الصباح.

أوكتاف : وهل هي على ما يرام؟

ميريي : (بلهجة مترفِّعة) هذا ما نفترضه.

أندريه : ستأتي للغداء.

أوكتاف : (ناهضا) أما أنا، فسأرحل.

أندريه : (في خجل) أصْغ إليّ، يا عماه...

أوكتاف : ماذا هناك؟

أندريه : من المؤلم لنا غاية الألم...

ميريي : أندريه، انتبه...

أندريه : أن نسمع بأن بين الخالة آلين وبينك...

أوكتاف : ماذا؟

أندريه : يوجد هذا... يوجد سوء تفاهم.

أوكتاف : لا وجود لأي سوء تفاهم. لم يوجد قط سوء تفاهم.

أندريه : ألا تعتقد أنه بالإرادة الطيبة من هذا الجانب وذاك؟..

أوكتاف : حقا!

أندريه : الرغبة المخلصة في التفاهم...

أوكتاف : ولكن كيف إذن!

أندريه : في سنك، يكون من البشاعة...

أوكتاف : (منفجرا) اهتم بشؤونك، أليس كذلك؟

أندريه : إذا استطعنا أن نُسْهم... ميريي، ألستُ على صواب؟

ميريي : (بصوت لا تعبير فيه) بلا شك.

أوكتاف : إلى اللقاء.

ميريي : متى تعود؟

أوكتاف : ســأمرُّ، في يوم من الأيام.. آه! ولكن كلا. الواقع، أنها الآن بعد أن عادت...

ميريي : ابْعَثْ إلينا رسالة، إشارة تليفونية...

أوكتاف : هيه! التليفون وأنا... على كل حال، سنرى. ولكن، كل ما في الأمر، يا أندريه، لا كلمة عن هذا الموضوع. والمســألة غاية في البساطة. عند أول تلميح، سأرحل، وإلى الأبد.

أندريه : يا خالي، يا لك من عنيد!

ميريي : أندريه!

أوكتاف : (متمالكا نفسه بصعوبة) إلى اللقاء.

(يخرج)

المنظر الثالث

ميريي، وأندريه

أندريه : إني مندهش من أنك لم تسانديني.

ميريي : (مــن دون أن ترد عليه) قلتُ لهــم أن يجهزوا لك مقْدما(*) دافئا. لا بد دائما من تكرار كل ما أقول.

أندريه : المسألة لا تستحق كل هذا العناء. لماذا لم تجيبي عليّ؟

ميريي : إذا أردتَ أن أقــول لك كل ما جــال بخاطري، فإنى لا أرى أنك كنتَ شديد اللباقة.

أندريه : وهل كانت المسألة مسألة لباقة!

(*) المقدم: خشبة توضع عليها القدم عند الجلوس، وهي ترجمة كلمة Talouret.

ميريي : ليس علينا أن نقوم بينهما بدور المُحَكِّمين...

أندريه : ومن الذي تحدث عن هذا؟

ميريي : ولا حتى أن نتدخل بأي صورة من الصور.

أندريه : أمّــا أنا فلي رأي آخر. حــين أفكر في الوحدة التي تعانيها الخالة آلين... على كل حال، ضعي نفسك مكانها.

ميريي : هذا شـــيء غاية فـــي الصعوبة. (صمت) أنا ســعيدة لأننا سننعم بلحظة هدوء صغيرة قبل وصولها.

أندريه : أتريدين أن أطالع لك؟

ميريي : كلا، كلا... اجلس بجواري فقط، واضعا يديْك بين يديّ.

أندريه : شــاهدت في شــارع فيكتور هوجو «بيانو» من طراز جافو معروضا للبيع بثمن معقول.. ألا تحبين الذهاب لتجربته؟

ميريي : (في حنان) شــكرا، يا عزيزي. أنت تعــرف ما قلتُه لك... الموسيقى لا تنقصني.

(صمت)

أندريه : ألستِ حزينة؟

ميريي : (بلا حماس) كلا.

أندريه : كنت أخشى دائما أن تحقدي عليّ لما حدث.

ميريي : هذا شيء صبياني.

أندريه : هل أخبرت العم أوكتاف؟

ميريي : كلا.

أندريه : (بحــرارة) هذا أفضل. أنا لا أحــرص على أن يعرف ما لا يسير على ما يرام.

ميريي : وأنا مثلك.

أندريه : والخالة آلين؟

ميريي : ماذا؟

أندريه : ألم تشركيها في خيبة أملنا؟

ميريي : ولكنها لم تكن تعرف أن لدينا أسبابا للأمل.

أندريه : (بصوت خفيض) أنا، كتبتُ إليها!

ميريي : من دون علمي؟

أندريه : لماذا كل هذا الاستسرار حول شيء بهذه البساطة وهذا الجمال؟ أنا أعرف ما سيبعثه من سرور في نفسها.. ولا أجد من نفسي الشجاعة بعد لإخبارها... يبدو كأنها ترصد كل ما يمكن أن يحدث لنا من أمور سعيدة.

ميريي : إنه حق تماما، هذا الذي تقوله. ولكنني لا أحب كثيرا – على وجه التحديد – أن يتخذوا هذا الموقف.

أندريه : (عاتبا) تقولين «يتخذوا» عند الحديث عن الخالة آلين؟

ميريي : عجبا، إنك لمضحك.

أندريه : (بمرارة) هذا عجيب، أحيانا، يكون عندي الانطباع بأن مشاعرك نحوها ليست كما كانت في الماضي تماما.

ميريي : هذا قول تنقصه الدقة، ولكن، إذا حدث على سبيل المصادفة أن...

أندريه : سيكون هذا مصدر حزن عظيم لي.

ميريي : وما تأثير هذا عليك؟

أندريه : أرأيتِ، أنت لم تعودي تُنْكرينه.. بين الخالة آلين وبيني، ثمة شيء كالرابطة.

ميريي : (في عمق) هذا صحيح في جوهره.

أندريه : آه... يا للطريقة التي قلت بها ذلك!

ميريي : ولكن، أتعرف أنك تفزعني؟

أندريه : الخالة آلين – في حياتنا – شيء مهم!

ميريي : أوه! أنا أعرف ذلك جيدا.

أندريه : قد يبدو لك هذا غريبا، ولكنني أذهب إلى القول بأنها شخص أهم من أمي.

ميريي : (تتنهد) من الجائز أنك على صواب.

أندريه : أولا، إنها في حاجة شديدة إلينا... لا شيء في حياتها سوانا.

ميريي : يمكن أن يقال مثل هذا القول أيضا عن زوجها.

أندريه : كلا، أولا، لأنه أقل حساسية بكثير. وهو يفتقر إلى الرقة... ألا ترين ذلك؟... أنا الذي أعتقد أنك ستكونين في غاية من السرور لرؤيتها مرة أخرى..

ميريي : ولكن، أنا مسرورة، كل ما في الأمر..

أندريه : ماذا؟

ميريي : كأنني أشعر بقليل من الخوف. لا يُعرف أبدا ما تحمله الخالة آلين، معها بالضبط.

أندريه : لم أعرف شخصا أكثر منها وفاءً.

ميريي : حين تكون حاضرة، أو منذ أن يشعر المرء بأنها قريبة منه، لا يعود كما كان .. وكأنما يرى كل شيء في ضوء آخر.

أندريه : (في قلق) ماذا تقصدين؟

ميريي : هذا شيء لا أهمية له.

أندريه : أنا – كما لعلك تفهمين – أحب أن أكون لها... شيئا كابنها الذي فَقَدَتْه. أليس كذلك؟ لقد شعرت شعورا قويا بأنها تبنتني. وأنت؟

ميريي : (بسخرية خفية) أجل، أجل: أنا مثلك، لقد أحسست فورا بهذا الانطباع.

(طرقات على الباب)

أندريه : ما هذا؟ (يذهب ليفتح الباب) كيف، أهذا أنت، يا خالتي آلين؟ لم نسمعك تدقين الجرس.

المنظر الرابع

الشخصان أنفسهما، وآلين

آلين : يا طِفْلَيَّ!
(تعانقهما)

ميريي : (في لهجة آلية) ماما!

آلين : يبدو لي أن الوقت الذي فات منذ أن التقينا كان طويلا جدا.

أندريه : ولنا نحن أيضا!

آلين : أولا، أي صحة تلك التي تبدو عليك؟ (إلى أندريه) يكاد المرء يقول إنك أقل نحافة مما كنت منذ ثلاثة شهور؟

أندريه : إن صحتي على ما يرام تماما.

آلين : (في اندفاعة) ما أشد غبطتي!
(حركة من ميريي)

ميريي : همّ! على ما يرام تماما! لا تبالغ في شيء، ومع ذلك، فإن صحته أحسن من الشهر الماضي.

آلين : وأنت، يا عزيزتي؟ (تتفحصها بعناية) أنت لم...

ميريي : يبدو أن أندريه قد كتب إليك؟...

آلين : (في انفعال مفرط) أتُرَاها كانت غلطة؟

أندريه : (وكأنما في شيء من الابتئاس) منينا بخيبة أمل.

آلين : أهو حادث؟

ميريي : هذه كلمة كبيرة جدا.

آلين : (بصوت يخنقه الانفعال) ماذا جرى؟

ميريي : (بعصبية متزايدة) ينبغي ألا يؤخذ هذا الأمر مأخذا مأساويا.

أندريه : ذهبنا للعشاء عند أولاد عم يقطنون شارع «لاسومسيون».

آلين : (في لهجة استنكار) تخرجان في المساء!

ميريي : وعند عودتنا، اشتكى أندريه من أنه متعب قليلا، وفي ذلك الحي يصعب على المرء أن يجد سيارات في المساء. ومرت سيارة أجرة خالية، فعدوتُ قليلا لكي ألحق بها.

أندريه : حاولت أن أمنعها من الجري.

آلين : كان الخطأ في الذهاب إلى هناك.

ميريي : وليس في الإمكان أن نترهّب أيضا... ومن جهة أخرى. لا أحب أن يخرج أندريه من دوني، إذ لا أشعر بالاطمئنان حين يكون بعيدا. ففي أحد الأيام، كاد يقع مغشيا عليه... ولم يكن هو الذي قَصّ عليّ ذلك.

آلين : أنا يائسة... (إلى أندريه) حين تلقيت خطابك أحسست بابتهاج ليتك تعرف مقداره!

أندريه : طبعا!

ميريي : كل هذا يُثْبِت أنه لا ينبغي التصريح بمثل هذه الأخبار قبل أوانها كثيرا.

آلين : وكنتُ قد كوّنتُ كثيرا من المشروعات فعلا!

ميريي : هذا شيء يفتقر دائما إلى الحيطة.

أندريه : وبعد كل شيء، إذا مضت بضعة أشهر من الآن...

آلين : فلنأمل... ولكن، أتوسل إليك يا عزيزتي، أن تكوني عاقلة.

أندريه : إنها تريد أن تعود غدا إلى جمعيتها الخيرية، وهذا مبكر قليلا.

آلين : أأنت مشغولة بجمعية خيرية؟

ميريي : ينبغي أن أملأ حياتي قليلا.

أندريه : لا شك في أن خالتي آلين ترى مثلي...

ميريي : (بجفاء) ماذا تريد؟ إني آسفة.

(صمت)

آلين : تَعْلَمان أنني لم أر شيئا بعد في شقتكما.

ميريي : إننا لم نستقر بعد.

أندريه : سترين مع ذلك أنها لائقة جدا.

آلين : لم أكن أتصور حجرة الجلوس بهذه الرحابة. ومن الحق أنكما حين تحصلان على بيانو...

ميريي : لن يكون لنا.

آلين : لماذا؟

ميريي : أندريه لا يحب الموسيقى. وأنا – فضلا عن ذلك – قد علاني الصدأ...

آلين : يبدو لي من الخسارة أن تهجري...

ميريي : (في مرارة) خسارة! لمن؟ أعزف لنفسي وحدها.. وفضلا عن ذلك، متى أجد الوقت للدراسة؟

آلين : ها أنت تجدين الوسيلة للذهاب إلى جمعية خيرية.

ميريي : (في حيوية) هذا شيء مختلف، فهناك، أكون نافعة.

آلين : (إلى أندريه) في الواقع، أنا أفهمها قليلا.

أندريه : أجل، إن هذا من رأيك. (حركة من ميريي) ترى الخالة (مخاطبا ميريي) آلين أنه من الطبيعي جدا أن يُكرس المرء نفسَه لأمر ما. وأنا أتذكر أن ريمون كان يقول أحيانا: «هذا عجيب، إن أمي إنسانة تحب التعساء»، وأضاف: «أما أنا، فإنهم يثيرون خوفي».

(صمت)

ميريي : (متمالكة نفسها) وما الأنباء التي تحملينها إلينا من هناك؟

آلين : لا أرى شيئا مثيرا يستحق أن أقصه عليكما.

أندريه : أكلهم على ما يرام، عند آل موريل؟

آلين : على ما أظن. قلت لك إن علاقتنا انقطعت.

أندريه : وذلك الولد الذي كنت أراه مزعجا إلى أبعد حد؟

آلين : (مرتبكة) لا أدري إلى من تشير.

أندريه : شانتاي. إلام صار أمره؟

آلين : (مذهولة) ولكن...

أندريه : ماذا؟

آلين : أنا...

أندريه : أحدث له شيء؟

آلين : أنتما لا تقرآن الصحف إذن؟

ميريي : وهل تهتم به الصحف؟

آلين : (بصوت شديد الخفوت) حادث سيارة.

أندريه : كيف؟

آلين : وقع له حادث سيارة.

أندريه : ثم ماذا؟ (حركة من آلين) هل مات؟

آلين : أجل.

أندريه : يا للفتى المسكين! (يلتفت صوب ميريي التي لم يتحرك وجهها) أتسمعين؟

ميريي : إنه لشيء محزن.

أندريه : لا بد أنه كان يقود سيارته كالمجنون.

ميريي : (على الرغم منها) من أدراك؟

أندريه : كانت تبدو عليه هيئة المغامر.

آلين : (متحفظة) لا أعتقد أنه هو الذي كان يتولى القيادة.

أندريه : أكان هناك ضحايا آخرون؟

آلين : وهي جُرِحت جرحا خطيرا.

أندريه : هي؟

آلين : الإنسانة.. التي كانت معه.

أندريه : آه، عشيقته.

(صمت)

ميريي : (مسيطرة على نفسها) ولم تحدثيني بشيء عنك، عن مشروعاتك؟ (تمرر يديها على جبينها) إن لدي دائما صداعا غامضا، هذه الأيام الأخيرة.

أندريه : أتريدين قرصا؟

ميريي : كلا، شكرا.

أندريه : (إلى آلين) ذهبتُ لمشاهدة الشقة الصغيرة في شارع أودينو.

آلين : لن آخذها.

أندريه : أحسن، فقد بدت لي كئيبة.

آلين : سأبحث عن بنسيون عائلي.

أندريه : هم! أنت التي تمقتين الضجة، حركة الغدو والرواح...

آلين : لن أنزل إلا لتناول الوجبات.

أندريه : يا لها من حياة!

ميريي : كثير من الأشخاص خُلِقوا لمثلها.

أندريه : وفي الانتظار؟

آلين : لوتيسيا.

أندريه : (في حماس) آه كلا، فهذا - مثلا - ما لن نقبله. هنا حجرة لا نفيد منها.. كلا، كلا، لا تحتجي. سأقول لهم أن يضعوا المناشف، والملاءات، وسيذهبون لإحضار حقائبك من لوتيسيا.

(يخرج)

المنظر الخامس

ميريي، وآلين

آلين : (إلى أندريه الذي يخرج) عجبا لأندريه، عجبا، ولكن هذا مضحك. (يغلق الباب مرة أخرى) ميريي، عزيزتي، أخبريني عن هذه الحادثة التي وقعت لك... هذا جد فظيع، لا أستطيع احتمال فكرة أنك كدت... وهو، كيف حاله؟ إنه شديد الشحوب.

ميريي : على شرط أن يتصرف بحكمة...

آلين : أجل، أجل، يا إلهي، على شرط...

(تتوقف)

ميريي : (في سخرية قاتمة) أن يتسع لنا الوقت ليكون لدينا آخر...

(صمت. تنظر إليها ميريي وعلى وجهها تعبير عن البغض، آلين لا تلحظه)

آلين : عندما قرعت الجرس منذ لحظة، لا يخطر على بالك مدى القلق...

ميريي : بلى، بلى، إني أعرف..

آلين : يساورني الخوف أحيانا من ألا تكوني سعيدة...

ميريي : (في جفاء) أندريه طيب جدا... وهو يحبني حبا مفعما بالحنان. وأنا أحيا الحياة التي اخترتُها... (في عنف مباغت) التي اخترتُها أنا.

آلين : (على الرغم منها) أأنت واثقة بذلك كل الثقة؟

ميريي : لا أسمح لك بالشك في ذلك.

آلين : (وكأنها تلقتّ ضربة) يا مغيث!

ميريي : (بصوت أخذ البكاء يطغى عليه شيئا فشيئا) إذا كنتُ قد قررتُ أن أتزوج أندريه، فذلك لأنني أعرف أنني لن أجد غيره سوى خيبة الأمل.. سوى المرارة، ولم تكن عندي لا القوة، ولا الرغبة، أتسمعين؟ ولا الرغبة للبحث عن ضروب معينة من.. الإشباع. وكان ما ينقصني هو راحة البال، وسكينة القلب. وقد أتت... وإني لأ...

(تنخرط في البكاء)

آلين : ولكنك تبكين! أنت تبكين! إنك تكذبين على نفسك. (حركة من ميريي) يا صغيرتي! إذن، فهذا حق! إنها غلطتي! وهذا التعس «شانتاي»، كان يمكن...

ميريي : (في نوع من الهياج) ولكن ماذا تحاولين دفعي إلى قوله؟ إن ضروب ندمك تصنع من الشر بقدر ما يصنعه استبدادك! آه! إني أمقتك!

المنظر السادس

الشخصان أنفسهما، وأندريه

أندريه : ها هي ذي الأوامر قد أُعْطِيَتْ. وبعد، ماذا حدث؟

آلين : هذا بمناسبة ما أصابكم من خيبة أمل.

أندريه : (في قلق متزايد) ولكن المسألة على كل حال ليست نكبة حقيقية.

آلين : بالطبع.

أندريه : إنها ليست كأننا فقدنا طفلا. ثم إن الحياة مازالت كلها أمامنا.

آلين : (بانطلاق مصطنع) أجل، بكل تأكيد، الحياة كلها! (ينظر إليها أندريه، فتبدر منه حركة تراجع) يا عزيزتي، ألا تعتقدين ذلك؟

ميريي : كلا، كلا. كفانا أقوالا.. تكونان لطيفين جدا لو تركتماني.. فلم أعد أستطيع، لم أعد أستطيع... (تجلس على مقربة من المدفأة، وتستغرق في تأمل ألسنة اللهب. حوار صامت بين أندريه وآلين، تخرج هذه الأخيرة في رفق بعد أن تشير إلى أندريه بالبقاء)

المنظر السابع

أندريه، وميريي

أندريه : (مخاطبا نفسه في قلق) الحياة كلها!

(صمت. يقترب من ميريي، يركع إلى جوارها، ويسدد إليها بصره)

ميريي : طلبتُ أن تتركاني وحدي.

أندريه : ثمة شيء لا أفهمه. أنت لا تتحدثين كالمعتاد.

ميريي : لقد حذرّتُك.

أندريه : ليست هذه غلطة الخالة آلين. إنها لم تتغير.

ميريي : (في حدة) هذا صحيح. (فجأة) أصغ إليّ، أنت عَرَضْتَ عليها منذ لحظة أن تقيم معنا...

أندريه : مؤقتا.

ميريي : حتى مؤقتا.. الأمر غاية في البساطة: أنا، لا أريد.

أندريه : لماذا؟ (صمت) لماذا يا ميريي؟

ميريي : هذا شيء لا جدوى منه.. فلن تفهم.

أندريه : (بقوة) إني أريد أن أفهم. لن تنكري على كل حال أن علينا واجبات كبيرة نحوها.

ميريي : (في عنف) ليس هذا صحيحا، فنحن لا نلتزم بأي واجبات نحوها.. ثمة حقيقة واقعة: أن الحياة لا تُحْتَمَل إلا إذا كانت هي بعيدة!

أندريه : (بصوت مرتجف) كيف! إذن.. فأنت تأخذين عليها مأخذا؟

ميريي : (تعود إلى تمالك نفسها) ما من مأخذ خاص. ولكنها إنسانة لا تمَّحي أبدا... إنسانة تحول بينك وبين الوجود.

أندريه : أتأخذين عليها أن لها شخصية قوية جدا؟

ميريي : فليكن.

أندريه : أقوى من شخصيتك؟

ميريي : هذا جائز.

أندريه : ليس هذا من الامتياز في شيء.

ميريي : اتفقنا، أنا تافهة.

أندريه : ولماذا تتبدّلين عندما تكون موجودة؟ أؤكد كذلك أنه منذ لحظة، كان يمكن أن يقال عنك إنك تعسة.. وإنك لا تحبينني. أو لعلها الحقيقة؟

ميريي : أندريه!

أندريه : قولي: أهذه هي الحقيقة؟

ميريي : أنت مجنون: كلا.. كل ما في الأمر، أنها في شدة الخوف – أفاهم أنت – من ألا تسير كل الأمور إلى الأحسن.

أندريه : لأنها تحبنا!

ميريي : إنها تتمنى – في الظاهر – سعادتنا.

أندريه : أنتِ تلومينها؟ هذا شيء بشع.

ميريي : إن لها أسبابا قوية للغاية لتمنّي تلك السعادة.

أندريه : ما معنى هذا؟

ميريي : (متمالكةً زمام نفسها) انظر: هذا شيء فريد، لم يمض على مجيئها إلى هنا غير ساعة، وها نحن أولاء – لأول مرة منذ زواجنا – نتكلم بلهجة.. كأنها لا تستطيع أن تمنع نفسها من التحطيم.. لا بأفعال تأتيها، بل بمجرد وجودها. أترى، أعتقد أنها قد تعذبت كثيرا، ومن ثم...

أندريه : أنت لم تُجيبي عليّ. لماذا كانت لديها أسباب قوية للغاية للتمني؟

ميريي : ينبغي ألا تعلّق أهميةً كبيرة على كلمة في الهواء.

أندريه : (في رفق) هذه المرة، أنت تكذبين.

ميريي : ولكن، افهم إذن في نهاية الأمر، لوأننا لم... لو لم تتحول الأمور إلى الأحسن في مصلحتنا، ألعلها كانت توجه هي المؤاخذات؟

أندريه : لماذا؟ وأين خطؤها في ذلك؟

ميريي : أنا لا أقول إن هذه تكون غلطتها، ولكنها كانت خليقةً بأن تفكّر في مثل هذا.

أندريه : لا أفهم.

ميريي : للأسف.

المنظر الثامن

الشخصان أنفسهما، وآلين

آلين : (من الخارج، وبرفق) أأستطيع الدخول؟

أندريه : تعاليَ! يا خالتي، نحن في حاجةٍ إليك.

ميريي : يا مغيث!

آلين : (تدخل. من الواضح أنها قد بكت، تتحدث بصوت مكتوم) يا طفليّ، استمعا إليَّ من دون مقاطعتي، من فضلكما.

لقــد أمعنت الفكر. إذا أنا تركتُ نفســي تقتنع بالبقاء إلى جواركما، حتى لو كان ذلــك لبضعة أيام، فمن المحتمل أن نندم على ذلك فيما بعد. وربما كان ذلك نهاية شــيء بيننا نحن الثلاثة.

أندريه : (في وحشية) لماذا؟

آلين : (مذهولة) ولكن...

أندريه : وعلى هذا، لم يكن موقف ميريي مفاجأة لك؟

آلين : (في إعياء) أي موقف؟

أندريه : أوه! يا لها من مواجهة بينكما!

آلين : (متلعثمة) أتفهم، إنني أذكِّرها بكثير من الذكريات الأليمة، إنها في حاجة إلى أن تحيا بنجوة من الماضي.

أندريه : ها هو ذا شيء آخر!

ميريي : (بصوت متهدج) كأنك تريدين أن ترغمينا على إلحاق الأذى بأنفسنا.

أندريه : (فــي قلق) لديــك إذن ما يمكــن أن تؤذي به نفســك كل هذا الأذى؟ ومع ذلك، في الماضي... وكأنما وقع شــيء لا تســتطيع ميريي أن تغتفره لك. وأنت نفســك، كأنك غير واثقــة (فجأة) خالتي آلين، هــل أَلْحَحْتِ عليها كثيرا لكي تتزوجني؟

ميريي : (خافضة العينين) كلا.

آلين : اعتقدت أنكما ستسعدان.

أندريه : وإننا لكذلك. (تأتي ميريي بحركة معناها نعم) إذن! (بنبرة مصطنعة) ثمة حياة من الســعادة تمتد أمامنا... باستثناء سوء الحظ طبعا. فهناك الحوادث مثلما جرى لشانتاي.

آلين : (على الرغم منها) لماذا تتحدث عن شانتاي؟

ميريي : (فــي حدة مباغتــة) ماما، قولي، ألأنك تســتطيعين من هنا

إحداث أكبر قدر من التحطيــم دخلت هذه الحجرة؟ أتراك تخشين ألا تبقى هنا أي أثارة من حياة؟ كلا، كلا، لا تصطنعي عينــي الضحية هاتــين... آه! أنت مخيفة، بعــد أن حَطمتِ قلبينا هاأنت تأتين لإرغامنا على أن نطلب صَفْحَكَ!

أندريه : (في يأس) ميريي، أكنتِ تحبين إذن هذا الشانتاي كل هذا الحب؟

ميريي : ولكن، لست أدري... ولكن، لست أدري.

آلين : وداعا.

ميريي : اذهبــي، إني أقــرأ ما في قلبــك. لقد أَسْــقَطْتِ ضعفي، وندمي...

آلين : وداعا. إني لست حاقدة عليك.

(تخرج)

المنظر التاسع

أندريه، وميريي

(أندريــه غارق في تأمل حزين. ميريي تُقَبِل عليه في رفق، وتضع راحتيها على جبينه)

ميريي : (بصوت يرتعش) والخلاصة.. أن الحال ســتكون كما كانت من قبل.. لم يتغير شيء بالنسبة إلينا.

أندريه : (في سخرية ملموسة) في الواقع.

ميريي : سترى، مع مرور الوقت.

أندريه : الوقــت. يلزمنا وقت، وكان يلزمنا وقت. (حركة من ميريي. بغتة) لو لم أكن مريضا، أكنت تتزوجينني؟

ميريي : ما أعجب شأنك، يا أندريه.

أندريه : لقد أَجَبْتِ عليّ. شكرا.

ميريي : أنت لا تفهم.

أندريه : بل لقد بدأت أفهم، بالضبط. إني هالك، أليس كذلك؟

ميريي : (في اندفاع) ستعيش، وسأرعاك، وحتى لو...

(تهمس كلمة في أذنه)

أندريه : (في حزن) فلنأمل... آه! قلت ذلك مثلها... ميريي، أتعتقدين حقا أنها شريرة؟

ميريي : كلا. إنها امرأة مسكينة.

أندريه : قالت وداعا.

ميريي : (في قلق) أأنت متأكد من أنها قالت وداعا؟ إنها لا يمكن مع ذلك أن تفكِّر في... أليس كذلك؟ ليس هذا ممكنا؟

أندريه : ولكن...

ميريي : لقد تعذبت كثيرا... وباختصار، ماذا يمسكها؟... إنها ليست مؤمنة... ثم، إذا هي - يا أندريه - إذا هي قتلتْ نفسها... (في حيرة) فلن تعود الحياة ممكنة. ينبغي بأي ثمن...

(صمت - تذهب ميريي إلى منضدة المكتب، وتبحث عن شيء ما)

أندريه : عمَّ تبحثين؟

ميريي : (في نوع من الاستسلام المضني) عن رقم لوتيسيا.

(ستار)

* * *